زوجات النبی (ص)

سعيد أيوب

زوجات النبي (ص)

قراءة في تراجم امهات المؤمنين
في حركة الدعوة

دارالهادي
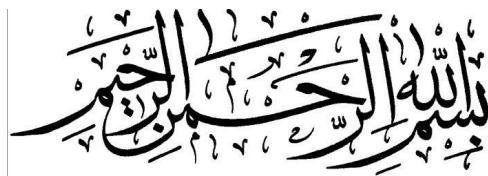
المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على محمد وآله صلى الله عليه وآله وسلم. النبى الأمى الذي أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

وبعد:

لا شك فى أن ما يختزنه الماضى من أحداث جرت على امتداد المسيرة البشرية. قد تعرض لأمور وضعت الباحث عن الحقيقة فى دائرة مضنية شاقة. وفى جميع الأحوال كان الباحث يصل إلى نقاط بحثه بمراكب العسر لا اليسر. وكانت الحقائق تظهر إما مختصرة ويقام بها حجة. وإما بها التباس لا ينسجم مع الفطرة ويتطلب بحثها جهداً جديداً.

وإما مشوهة يراد بها فتنة، ويعود ذلك لعدم الأمانة فى النقل أو لسوء الحفظ أو لعدم الدقة فى النسخ وتخزين المادة، وعلى امتداد المسيرة جمع السلف ودون الخلف وبحث الباحثون. وشاء الله تعالى فى عصرنا الحاضر أن تتسع دائرة المعارف وأن تتراكم المعلومات تحت سقف الفهرسة والتخريج والبرامج. ليقف أصحاب العقول على الحقائق التى فى بطون الماضى. وتقام الحجة ويحمل أولو الألباب مشاعل الفطرة التى تسوق الناس إلى صراط الله العزيز الحميد.

ومن العجيب أنه فى ظل تدفق المعلومات، غير أن أجهزة ومؤسسات الصد عن سبيل الله ما زالت تقف فى ظلمات الماضى، متاجرة

بما فيه التباس بين الحق وبين الباطل، أو بما يراد من ورائه تشويه الدين الحق. والأعجب من ذلك إنهم على هذه الحال يدعون أنهم دعاة حقوق الإنسان وأصحاب التنوير والعصرية. إلى غير ذلك من الأسماء التى تتلحف بلحاف الزينة الشيطانية. وتسير بين الناس بعجلات الإغواء. رغبة فى الحفاظ على مكاسب طريق الانحراف والفتن. والتى جمعوها على امتداد المسيرة من مستنقعات الوحل والدنس والعار.

إن المد الإسلامى فى عصرنا الحاضر يعرض المعارف التى تنسجم مع الفطرة وتحترم العقل وتسوق الناس إلى الصراط المستقيم. الذي يحقق لسالكه سعادة الدنيا والآخرة. وأمام هذا المد خرجت جحافل الليل المغبر بحملات ضد الإسلام، الهدف من ورائها إعاقة العجلة الإسلامية، وهذه الحملات قام بها بعض من ينتسبون إلى الإسلام الذين وصفتهم الأحاديث الشريفة بأن ألسنتهم ألسنة العرب وسننهم سنن الذين من قبلهم من أهل الكتاب، أو إن ألسنتهم ألسنة العرب وقلوبهم قلوب العجم، كما شارك فى هذه الحملات المتخصصون من أهل الكتاب، وحملت أجهزة الفاكس وصناديق البريد رسائل هؤلاء وهؤلاء، يدعون فيها إن الإسلام دين السيف ولا يعتمد الكلمة فى دعوته، وهذا الادعاء يذهب هباء أمام أيسر تحقيق يقوم به أقل المسلمين شأناً، وادعوا أن تخلف المسلمين وفساد معاشهم وأخلاقهم يعود إلى القوانين الدينية الدائرة بينهم، وقالوا لو كان الإسلام ديناً واقعياً وكانت القوانين الموضوعة فيه جيدة متضمنة لصلاح الناس وسعادتهم، لأثرت فيهم الآثار الجميلة.

ولا يختلف أصحاب البصائر والأفهام على إن الدين طريقة خاصة فى الحياة تؤمن صلاح الدنيا بما يوافق الكمال الأخروي وأن ينبوع دين الله فطرة الإنسان نفسه. والدين الخاتم طريقة اجتماعية تلازم الفطرة. وهذه الطريقة جعلها الله تعالى على عاتق الناس. ليتميز أهل الحق وأهل

الباطل. فمن سلك طريق الدين نجا ومن لم يستقم سقط وهلك، وأجهزة ومؤسسات الصد عن سبيل الله خلطوا بين القوانين الدينية وبين حركة الناس تحت سقف الامتحان والابتلاء الإلهى، ولم يروا تحت هذا السقف إلا الذين فسدت أخلاقهم.

ولما كان ادعاؤهم إن القوانين الإسلامية لم تقو على إصلاح الناس ومحق الرذائل، إدعاء لا أساس له على مائدة الفطرة والبحث العلمى، قلنا إن نسأل: لماذا لم تصلح قوانين الغرب الناس هناك؟ وما القول فى الديمقراطية وغيرها؟ التى تاجرت بكل شذوذ وانحراف وانتهت إلى دوائر الأيدز والمخدرات والانحلال ورفعت أعلام الفساد فى الأرض ورايات التجويع والتخويف، ولماذا لم تصلح القوانين الاشتراكية أصحابها؟ وما القول فى تفتت الدول الشيوعية وذهاب هيبتها، والجميع فى الشرق والغرب عاشوا طويلاً تحت وهم إن قوانينهم من أحكم القوانين وأعظمها.

إن الانحطاط الذي نراه على رقعة العالم الإسلامى، جذوره مغروسة فى قوانين الشرق والغرب، ولا علاقة لقوانين الدين الإسلامى به، إن جحافل الليل المغبر لا تتاجر فى الحقيقة إلا بما صنعوا ولا يرفعون إلا أعلام دائهم، ولقد ادعوا أيضاً إن رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم لم يقنع بما شرعه لأمته من زواج أربع نسوة، حتى تعدى إلى أكثر من عشرة نسوة، وقالوا إن تعدد الزوجات لا يخلو من الانقياد لداعى الشهوة، وهذا قول سقيم وتفكير غير مستقيم، ونحن فى هذا الكتاب سنلقى بعض الضوء على تعدد زوجات النبى صلى الله عليه وآله وسلم والحكمة التى من ورائه، كما نقدم نبذة من تراجم أمهات المؤمنين رضى الله عنهن، ومن خلال سيرتهن سنلقى ضوءا على حركة الدعوة الإسلامية، ونرجو من وراء ذلك أن يرى الباحث المتعمق المنصف أن الزواج لم يكن لداعى الشهوة كما قالت أجهزة ومؤسسات الصد، وإنما كان جزءا لا يتجزأ من حركة

الدعوة وهى تقيم حجتها على عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وأسأل الله تعالى السداد والرشاد فإنه خير معين وهاد.

تأملات في حكمة تشريع الزواج من أربع نساء

من السنن الجارية فى غالب الأمم القديمة اتخاذ الزوجات المتعددة. فهذا التعدد كان سنة جارية فى الهند والصين والفرس ومصر.

وكان الروم واليونان ربما يضيفون إلى الزوجة الواحدة فى البيت خدنا يصاحبونها. ومما لا شك فيه إن بعض الأمم كاليهود والعرب كان الرجل منهم ربما تزوج العشرة والعشرين وأزيد. ولقد ذكرت التوراة الحاضرة إن سليمان الملك تزوج مئات من النساء من قبائل وشعوب كثيرة. موآبية وعمونية وادومية وصيدونية وحيثيه ومصرية إلى غير ذلك [١] ولقد جرت سنة اتخاذ الزوجات فى الأمم القديمة لحاجة رب البيت إلى الجمع وكثرة الأعضاء، وكان يقصد بهذه الرغبة فى التكاثر. أن يهون له أمر الدفاع الذي هو من لوازم عيشته. وليكون ذلك وسيلة يتوسل بها إلى الترؤس والسؤدد فى قومه. فبقدر التكاثر فى البنين والتكاثر فى الأقرباء بالمصاهرة يكون القرب بين بسط اليد والترؤس والسؤدد.

وعندما بعث النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وجاء بالدين الفطري. قام الإسلام بتنظيم جميع نواحى الحياة الإنسانية. ولما كان المجتمع العائلى: الذي هو نفس الحياة الزوجية قاعدة للمجتمع. فإن الإسلام نظر إلى علاقة الرجل بالمرأة ووضع أمر الازدواج موضعه الطبيعى. فأحل النكاح وحرم الزنا والسفاح. وأقام الإسلام نظاماً للتربية يقوم على الرأفة والرحمة والعفة والحياء والتواضع، وبالجملة: نظم الإسلام الحياة من القاعدة إلى جميع نواحي الحياة الإنسانية. وجعل جميع

---

[١] سفر الملوك الأول ١١ / ١ – ٨.

الحياة ذات أدب، وبسط الإسلام على معارفه رداء التوحيد لأن التوحيد هو العامل الوحيد الذي يحرس الأخلاق الفاضلة ويحفظها فى ثباتها ودوامها، وما تهددت الإنسانية بالسقوط والانهدام إلا بابتعادها عن التربية الحقة. فهذا الابتعاد أبطل فضيلة التقوى وأرسى قواعد القسوة والشدة.

ولازم ذلك ابتعاد العلوم المفيدة واقتراب النواقص التى تحيط أعمال الناس ومساعيهم لنيل الراحة والحياة السعيدة، ومما لا شك فيه إن المعارف الحقة والعلوم المفيدة التى تسوق الإنسان إلى صراط الله المستقيم. لا تكون فى متناول البشر إلا عندما تصلح أخلاقه. ولا تصلح الأخلاق إلا بالتربية التى يقوم عمودها الفقري على التوحيد.

ولما كان تعدد الزوجات سنة جارية على امتداد المسيرة البشرية.

فإن الإسلام شرع التعدد وجعل له ضوابط وشروط. والإسلام لم يشرع تعدد الزوجات على نحو الإيجاب والفرض على كل رجل. وإنما نظر فى طبيعة الأفراد وما ربما يعرضهم من العوارض الحادثة، فالتعدد له أسبابه وتشريعه حفظاً لمصلحة المجتمع الإنسانى.

ولقد اعتنى الدين فى تهذيبه للأخلاق أن لا تختزن الشهوة فى الرجل أو المرأة لأن ذلك يدعو إلى التعدي إلى الفجور والفحشاء. فوضع الإسلام الضوابط التى معها يرتفع هذا الحرمان ومنها الصوم أو الزواج.

ونظراً لأن المرأة الواحدة ربما اعتذرت فيما يقرب من ثلث أوقات المعاشرة والمصاحبة. كأيام العادة وبعض أيام الحمل والوضع والرضاع ونحو ذلك. رفع الإسلام الحاجة الغريزية بالتعدد وفقاً لشروطه. ولم يقصد من وراء التعدد رفع الحاجة الغريزية فحسب. وإنما اعتمدت الشريعة فى مقاصدها تكثير نسل المسلمين وعمارة الأرض بيد مجتمع مسلم. عمارة صالحة ترفع الشرك والفساد.

وكما ذكرنا إن التعدد لم يشرع على نحو الإيجاب والفرض على كل

رجل. وإنما تقوم قاعدته على العدل. فالإسلام استقصى مفاسد التكثير ومحاذيره وأحصاها. وعلى هذه الخلفية أباح التعدد حفظاً لمصلحة المجتمع الإنساني. وقيد التعدد بما يرتفع معه جميع هذه المفاسد وهو وثوق الرجل بأنه سيقسط بينهن ويعدل. فمن وثق من نفسه بذلك ووفق له. فهو الذي أباح له الدين تعدد الزوجات. قال صاحب تفسير الميزان:

إن الإسلام شرع الازدواج بواحدة. وأنفذ التكثير إلى أربع. بشرط التمكن من القسط بينهن مع إصلاح جميع المحاذير المتوجهة إلى التعدد، وشرط الإسلام على من يريد من الرجال التعدد أن يقيم العدل فى معاشرتهن بالمعروف وفى القسم والفراش. وفرض لهن نفقتهن ثم نفقة أولادهن، ولا يتيسر الإنفاق على أربع نسوة مثلاً ومن يلدنه من الأولاد مع شريطة العدل فى المعاشرة وغير ذلك. لا يتيسر ذلك إلا لبعض أولى الطول والسعة من الناس لا لجميعهم، أما هؤلاء الذين لا عناية لهم بسعادة أنفسهم وأهليهم وأولادهم. ولا كرامة عندهم إلا ترضية بطونهم وفروجهم. ولا مفهوم للمرأة عندهم إلا أنها مخلوقة فى سبيل شهوة الرجل ولذته. فلا شأن للإسلام فيهم.

إن الإسلام جاء بمعارف أصلية وأخلاقية وقوانين عملية متناسبة الأطراف مرتبطة الأجزاء. ولما أن كانت الحياة الزوجية هى قاعدة المجتمع، ولما كانت هذه الحياة ربما تتعرض لبعض العوارض، ولما كان الإسلام يقصد من وراء تكثير النسل عمارة الأرض بين مجتمع مسلم عمارة صالحة. فإن الإسلام حدد لكل داء دواؤه. لأن فساد بعض الأجزاء يوجب تسرب الفساد إلى الجميع. فالتعدد دواء لداء معين. ولا يكون صحياً إلا إذا قام على العدل والقسط وتدثر بدثار الأخلاق الفاضلة والأدب، وانطلق إلى هدف الإسلام وغايته.

تأملات في حكمة تعدد أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم

مما سبق يرى الباحث المتدبر أن الإسلام شرع للمسلمين الازدواج بواحدة. وأنفذ التكثير إلى أربع بشرط القسط بينهن وإصلاح جميع المحاذير المتوجهة إلى التعدد، فهذا على مستوى القاعدة ويعم جميع المسلمين، والتعدد على مستوى القاعدة غير التعدد على مستوى القمة وأقصد بها النبوة، لأن النبي توفرت فيه جميع الشروط التي تجعله يسوق الناس إلى صراط الله الحميد، فهو أول شخص يخلص الدين لله ويسلم بما يدعو الآخرين إليه. وعلى هذه الخلفية لا يمكن بحال أن ينطلق التعدد من داعي الشهوة أو يقود إلى داعي الشهوة كما قال بعضهم.

ويضاف إلى ما ذكرنا أن الرسول مؤيد بالعصمة. مصون من الخطأ والغفلة في تلقي الوحي من الله وحفظه وتبليغه. والله تعالى يصونه من الخطأ فى جميع أمور الدين وتشريع القوانين. وعلى هذه الخلفية لا يجوز لمقولة داعي الشهوة أن تطرح على مائدة البحث.

إن الإسلام أنفذ التكثير إلى أربع بشرط القسط بينهن، وفي هذا الباب كان للنبى صلى الله عليه وآله مختصات منعت عنها الأمة. وكان التعدد بالنسبة للنبي صلى الله عليه وآله وسيلة من وسائل تشريع القوانين.

ومن باب التعدد خرجت أحاديث عن أمهات المؤمنين تبين حركة الرسول وسكونه فى بيته. ورويت الأحاديث الذي تبين قمة العدل والقسط بين النساء. وتبين حسن معاشرتهن ورعاية جانبهن. ورويت أحاديث الإخبار بالغيب وفيها حذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أزواجه من الفتن وبين لأمته الأعمال التى تحقق سعادة الدارين. وهذه الأحاديث كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يتحدث بها وهو يبكي في فراشه. أو وهو يبكي في وجود جبريل عليه السلام.

إن ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى صحته وسكونه وبكائه وما شرعه للمرأة وللطفل وللأسرة. يستند أول ما يستند على تعدد الرواة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وعلى خلفية تعدد الرواة يمكن للباحث المنصف أن يفهم الحكمة التى وراء تعدد الزوجات فى هذا الشأن.

وبالنظر فى المسيرة النبوية وفى تراجم الرجال. نجد أن الكفار والمشركين والمنافقين لم يعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتعدد زوجاته على الرغم من أنهم كانوا يتربصون به الدوائر. وعدم إحتجاجهم يعود إلى معرفتهم بأنه صلى الله عليه وآله وسلم له مختصات منعت عنها الأمة. وإن حكم الزيادة على الأربع كصوم الوصال وغيره من الأمور التى تختص بالنبى وعلموها وشاهدوها زمن البعثة.

والباحث فى حركة الدعوة يعلم أن مسألة تعدد زوجات النبى صلى الله عليه وآله وسلم. ترتبط بآيات متفرقة كثيرة فى القرآن الكريم.

وللوقوف على الحكمة التى وراء التعدد يجب البحث فى كل جهة من الجهات التى أشار إليها القرآن وبينتها السنة المطهرة، وعلى سبيل المثال ذكر القرآن أن الله تعالى هو الذي زوج رسوله صلى الله عليه وآله امرأة زيد. وقد كان زيد هذا يدعى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على نحو التبني. وكانت زوجة المدعو ابناً فى ذلك الحين كزوجة الابن الصلبى لا يتزوج بها الأب. فكان حكم الله تعالى وطلق زيد زوجه. وتزوج بها النبى صلى الله عليه وآله ونزل فيها آيات.

وكما أخبر القرآن بأن الله تعالى هو الذي زوج رسوله. بين القرآن أن الله تعالى حرم على رسوله بعد اللاتى اخترن الله ورسوله. ولا أن يطلق بعضهن ويتزوج مكانها من غيرهن. وبالجملة: أخبر القرآن الكريم إن الله تعالى هو الذي أمر بالزواج. وإنه تعالى زوج ٪ إحداهن من رسوله. وإنه

جل شأنه هو الذي حرم على الرسول الزيادة والتبديل. فما لهؤلاء لا يفقهون حديثاً.

ومن الآيات القرآنية التى أمر فيها الله تعالى رسوله بالازدواج. قوله تعالى (يا أيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك. وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك. وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين. قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم وما ملكت أيمانهم. لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيماً. ترجى من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء. ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليماً حليماً. لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شئ رقيباً [١].

قال صاحب تفسير الميزان: أحل الله تعالى للنبى صلى الله عليه وآله وسلم سبعة أصناف من النساء: (الصنف الأول) ما فى قوله ﴿**أزواجك اللاتى آتيت أجورهن**﴾ والمراد بالأجور: المهور (الثانى) ما فى قوله ﴿وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾ أي: من يملكه من الإماء الراجعة إليه من الغنائم والأنفال.

وذكر ابن كثير فى تفسيره: إن الله أباح له التسري مما أخذ من المغانم. وقد ملك صفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما وملك مارية القبطية أم ابنه إبراهيم وكانت من السراري رضى الله عنها [٢].

قال صاحب الميزان: (والثالث والرابع) ما فى قوله ﴿**وبنات عمك**

[١] سورة الأحزاب آيات ٥٠ – ٥٢.
[٢] تفسير ابن كثير ٣٩٩ / ٣.

وبنات عماتك﴾ قيل: يعنى نساء قريش (والخامس والسادس) ما فى قوله **﴿وبنات خالك وبنات خالاتك﴾** قيل: يعنى نساء بنى زهرة. وقوله **﴿اللاتى هاجرن معك﴾** قال فى المجمع: هذا إنما كان قبل تحليل غير المهاجرات ثم نسخ شرط الهجرة فى التحليل. (والسابع) ما فى قوله تعالى **﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها﴾** وهى المرأة المسلمة التى بذلت نفسها للنبى صلى الله عليه وآله وسلم.
بمعنى: إن ترضى أن يتزوج بها من غير صداق ومهر. فإن الله أحلها له إن أراد أن يستنكحها. وقوله تعالى **﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾** إيذاناً بأن هذا الحكم. أي حلية المرأة للرجل ببذل النفس، من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم لا يجرى فى المؤمنين. وقوله تعالى بعده **﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم وما ملكت أيمانهم﴾** تقرير لحكم الاختصاص وقوله تعالى **﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾** تعليل لقوله فى صدر الآية **﴿إنا حللنا لك﴾** أو لما فى ذيلها من حكم الاختصاص.

وذكر ابن كثير: قال قتادة فى قوله **﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾** ليس لامرأة تهب نفسها لرجل بغير ولى ولا مهر إلا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم [1].

وقال صاحب الميزان: وقوله تعالى **﴿ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء﴾** بالسياق يدل على أن المراد به أنه صلى الله عليه وآله وسلم على خيرة من قبول من وهبت نفسها له أو رده.

وقال ابن كثير: إن المراد بقوله (ترجى) أي تؤخر فى (من تشاء منهن) أي من الواهبات (وتؤوي إليك من تشاء) أي من شئت قبلتها ومن شئت رددتها [2].

---

[1] المصدر السابق ٣/٥٠٠.

[2] المصدر السابق ٣/٥٠١.

وقال صاحب الميزان: وقوله تعالى ﴿**ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك**﴾ أي: ومن طلبتها من اللاتى عزلتها ولم تقبلها. فلا إثم عليك ولا لوم. أي: يجوز لك أن تضم إليك من عزلتها ورددتها من النساء اللاتى وهبن أنفسهن لك بعد العزل والرد، ويمكن أن يكون إشارة إلى أن له صلى الله عليه وآله وسلم أن يقسم بين نسائه. وأن يترك القسم فيؤخر من يشاء منهن ويقدم من يشاء. ويعزل بعضهن من القسم. فلا يقسم لها أو يبتغيها فيقسم لها بعد العزل. وهو أفقه لقوله بعده ﴿**ذلك أدنى أن تقر أعينهن..**﴾ الآية وذلك لسرور المتقدمة بما قسمت له. ورجاء المتأخرة أن تتقدم بعد وذكر ابن كثير فى معنى الآية ﴿**ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن**﴾ أي: إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج فى القسم فإن شئت قسمت وإن شنت لم تقسم. لا جناح عليك فى أي ذلك فعلت. ثم مع هذا أن تقسم لهن اختيار منك لا أنه على سبيل الوجوب. فرحن بذلك واستبشرن به وحملن جميلتك فى ذلك.
واعترفن بمنتك عليهن فى قسمك لهن وإنصافك لهن وعدلك فيهن [١].

وقال صاحب الميزان: وقوله تعالى ﴿**لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك**﴾ ظاهر الآية لو فرضت مستقلة فى نفسها غير متصلة بما قبلها: تحريم النساء له صلى الله عليه وآله وسلم إلا من خير هن فاخترن الله. ونفى التبدل بهن يؤيد ذلك. لكن لو فرضت متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى ﴿**إنا أحللنا لك**﴾الآية. كان مدلولها تحريم ما عدا المعدودات. وفى بعض الروايات عن بعض أئمة أهل البيت إن المراد بالآية: محرمات النساء المعدودة فى قوله تعالى من سورة النساء آية ٢٣ ﴿**حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم**﴾ الآية، وقوله تعالى ﴿**ولا أن تبدل بهن من أزواج**﴾ أي: أن تطلق بعضهن

---

[١] المصدر السابق ٣/٥٠١.

وتزوج مكانها من غيرهن، وقوله ﴿**إلا ما ملكت يمينك**﴾ يعنى: الإماء. وهو استثناء من قوله فى صدد الآية ﴿**لا يحل لك النساء**﴾ [1].

وذكر ابن كثير فى تفسيره: (لا يحل لك النساء من بعدا أي من بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء اللاتى أحللنا لك من نسائك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك. وبنات العم وبنات العمات وبنات الخال وبنات الخالات والواهبة. وما سوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك.

وهذا مروي عن أبى بن كعب ومجاهد. وروي عن رجل من الأنصار قال.

قلت لأبى بن كعب: أرأيت لو أن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم توفين، أما كان له أن يتزوج؟ فقال: وما يمنعه من ذلك؟ قال: قلت: قول الله تعالى ﴿**لا يحل لك النساء من بعد**﴾ فقال: إنما أحل له ضرباً من النساء.

فقال تعالى ﴿**يا أيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك**﴾ إلى قوله تعالى ﴿**إن وهبت نفسها للنبى**﴾ ثم قيل له ﴿**لا يحل لك النساء من بعد**﴾.

وروى ابن كثير عن أبى النضر عن أم سلمة أنها قالت: لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء [2] إلا ذات محرم) [3]، وذكر ابن كثير لدى قوله تعالى ﴿**ولا أن تبدل بهن من أزواج**﴾ قال: نهاه عن الزيادة عليهن إن طلق واحدة منهن واستبدال غيرها بها، إلا ما ملكت يمينه [4].

مما سبق يعلم الباحث المتدبر. أن الأمر لله. أحل سبحانه لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينكح ما شاء من أصناف النساء الوارد ذكرهن فى الآية. وأحل له أن ينكح بغير مهر وهى الهبة ولا تحل الهبة إلا

---

[1] تفسير الميزان / العلامة الطباطبائي ٣٣٥ / ١٦.

[2] أي ما شاء من اللاتي أحل الله له.

[3] تفسير ابن كثير ٥٠٣ / ٣.

[4] المصدر السابق ٥٠٣ / ٣.

لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. أما غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا يصلح نكاح إلا بمهر، وكان تعدد زوجات النبى صلى الله عليه وآله وسلم تعدد ترى حكمته عند النظر فى حركة الدعوة. ويتأمل حركة المجتمع وحياة القبائل فى عهد البعثة. نجد إن المخاطر قد أحاطت بالدعوة من كل اتجاه. وكان على الداعى صلى الله عليه وآله وسلم أن يأخذ بالأسباب لدفع لهذه العقبات.

ولقد اختلفوا فى عدد زوجات النبى صلى الله عليه وآله وسلم. قال البعض: تزوج بخمس وعشرين امرأة وخطب خمس وعشرين. وقال البعض: تزوج خمس وعشرين امرأة. وكان فى ملك يمينه إحدى وعشرين امرأة. وقال البعض: تزوج بخمس عشرة امرأة وقال البعض الآخر: تزوج بثلاث عشرة امرأة غير ما كان فى ملك يمينه.

وهذا الاختلاف يعود أصله لعدم التدبر فى السيرة وفى الأحاديث وفى حركة الدعوة عموماً. وعلى أكتاف اللاعلم واللاتدبر واللابصيرة صعد أعداء الدين واعترضوا على الإسلام بهذا وبغيره بعد أن أضافوا إلى ما تلقفوه إضافات جعلته أكثر تشوهاً.

ومما لا يخفى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أمر برواية الحديث. لأنه يوضح متشابه القرآن ويبين مجمله ويخصص عامه ويفيد مطلقه. ويخبر بما يستقبل الناس من أحداث لكى يأخذوا بأسباب الحياة الكريمة. ومما لا يخفى أيضاً أن رواية الحديث بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم تسر المسار الطبيعى. ففى مرحلة ثم التضييق على الرواية وفى مرحلة منع الناس من تدوين العلم وردعوا عن جمع السنن والآثار وربما حظر عليهم الحديث عن رسول الله مطلقاً. وحبس أعلام الصحابة فى المدينة لكيلا يذيعوا الأحاديث فى الآفاق [١]. ولا يخفى ما قد

---

[١] أنظر كتابنا / معالم الفتن، كتابنا / إبتلاءات الأمم.

ترتب على هذا من المفاسد التى تتلافى أبداً. من ذلك شيوع القصص.
والقصص هو إخبار الناس بقصص الماضين. وعمل ذلك مذموم شرعاً لأنه يصرف الناس عن الاشتغال بالعلوم الدينية والنافعة. ولم يعهد ذلك فى عصر النبى صلى الله عليه وآله وسلم. ومع انتشار القصص وضع القصاصون الحديث فى قصصهم. وكانوا إذا دخلوا بمساجد الجماعات ومحافل القبائل من العوام والرعاع. أكثر جسارة على وضع الحديث، ومما وضعوه أحاديث تنافى عصمة الأنبياء فجعلتهم يخطؤون. وذلك أنهم عتموا على جوانب الوحى والدعوة. وأظهروا جوانب الشهوات من حب النساء والأموال والرآسة إلى غير ذلك [1].

ومما نسبوا إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يسب ويلعن ويجلد. ونسبوا إليه أنه كان يسهو فى الصلاة وأنه كان ينسى آيات القرآن الكريم، وأنه خطب إحدى زوجاته وهى فى سن السادسة وبنى بها وهى فى سن التاسعة. وجميع ذلك تحت عنوان إنه بشر يغضب وينسى ويبحث عن الجمال والمتعة. قاتلهم الله وتحت عنوان الشجاعة أظهروا حركة السيف وعتموا على الكلمة [2].

وأرادوا من وراء تجريد النبى من العصمة. أن يبرروا أخطاء الأمراء الذين ضيعوا الصلاة وأتبعوا الشهوات وبالجملة: كان القصص مدخلاً للكذابين. وكان النواة الأولى لاختلال منهج البحث ومنهج التفكير ومنهج الاستدلال. وتحت هذا السقف لا تظهر القراءة النقدية المتفحصة التقييمية إلا بعد عناء شديد.

ومما لا شك فيه أن رواية الحديث الشريف نهضت فى عهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب، إلا أن أهل الشام بقيادة معاوية بن أبى سفيان

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق.

تصدوا لهذه النهضة وعارضوها بما بين أيديهم من حديث نخر فيه القصص إلى أقص مدى، وعلى امتداد المسيرة بعد ذلك كان كل فريقاً يمسك بحبله، وعلى امتداد حبل بنى أمية ظهرت العقائد الفاسدة من جبرية وقدرية ومرجئة. ورفعت أعلام الملك وكانت حركة الملوك عند الخطأ تبرر ويلتمس لها الأعذار من مخزون عتيق يعود فضل ولادته إلى القصاصين [١]، وعلى امتداد حبل الإمام على بن أبى طالب. كان الحديث الشريف وعلومه. والقرآن الكريم وعلومه. حجة على المسيرة لكيلا يكون للناس على الله حجة، ولا يغنى هذا أن الكذابين لم تمتد أيديهم إلى هذا الوعاء، فربما امتدت أيديهم ولكن بعيداً عن العبادات وعلوم المتشابه والمحكم من الآيات.

وعلى امتداد المسيرة نشط العلماء وجمعوا السنن والآثار النبوية ودونوهما، ثم جاء من بعدهم علماء سهروا من أجل تنقية الأحاديث مما علق بها، ورغم عمليات التنقية إلا أن وعاء الحديث لم يسلم من وجود الأحاديث الإسرائيلية والأحاديث التى أشرف على طهيها القصاصون، وتوالى العلماء من أجل إنجاز هذه المهمة. ولكن المهمة لم تصل إلى غايتها. وذلك لأن الدولة كانت قد خلقت رموزاً ممنوع الاقتراب منها، والفرق والأحزاب والمجتمع خلقوا أصنافاً لا يمسها أحد بسوء أو نقد.
فمن اقترب من كتاب ما أو من جامعه، يكون قد أساء إلى الدولة. ومن الدولة انتقلت الإساءة إلى المواطنين. ولما كان المجتمع قد تشرب حالة العداء لكل من يقترب من رمز من الرموز، فإن مجهود العلماء فى هذا الباب لم يحقق الكثير وما حققوه يستحقوا عليه الثناء.

وشاء الله تعالى أن يقيم حجته ولو كره الوضاعون الذين أدخلوا في حركة الدعوة ما ليس منها. وتاجروا بقصص لا تفيد الدعوة ولم يقم على

---

[١] المصدر السابق.

أحداثها تشريع، وحجة الله تعالى هو القرآن الكريم. وعلى ضوء القرآن يتبين الباحث المنصف أن حركة الدعوة الإسلامية في عهد النبوة. كانت حركة قرآنية شكلاً وموضوعاً. ولقد وصف الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأوصاف حميدة. وصفه بأنه رؤوف رحيم وأنه على خلق عظيم إلى غير ذلك. وبين القرآن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مؤيد بالعصمة ومصون من الخطأ والغفلة في تلقي الوحي من الله وحفظه وتبليغه. وألزم القرآن الناس بأن يكون النبى صلى الله عليه وآله وسلم لهم أسوة حسنة.

وفي عهد البعثة كانت أجهزة الصد عن سبيل الله تعلم أن عصمة الرسول من حجج القرآن. وقد رسموا كثيراً من الخطط لإبطال هذه الحجة وغيرها فخاب سعيهم ورد الله كيدهم إلى نحورهم. وعلى امتداد المسيرة كان المسلمون يعرضون أي رأي وأي حديث وأي عقيدة على القرآن الكريم. فإذا لم يروا ضوءاً قرآنياً على هذه الدوائر. لم تلتفتوا إليها، وذلك لاعتقادهم الراسخ بأن كل رأي ديني لا بد أن ينتهي إلى القرآن.

ذلك الكتاب الذي لا يقبل النسخ والإبطال والتهذيب والتغيير. ولا يجد الباطل طريقه إليه. وبالجملة: إن حركة الدعوة وسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تقرأ إلا تحت هذا العنوان (عصمة الرسول) لأنها مركز للضوء القرآنى.

ثم نعود إلى حيث بدأنا. وهو عدد أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم. وهو العدد الذي بالغ فيه البعض روى صاحب الميزان: إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم تزوج بخمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة امرأة منهن، وقبض عن تسع، فأما اللتان لم يدخل بهما: فعمرة وسبا، وأما الثلاث عشرة اللاتى دخل بهن. فأولهن: خديجة بنت خويلد. ثم سودة بنت زمعة. ثم أم سلمة واسمها هند بنت أبى أمية. ثم أم عبد الله عائشة بنت أبي بكر. ثم حفصة بنت عمر. ثم زينب بنت خزيمة بن

الحارث أم المساكين. ثم زينب بنت جحش. ثم أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان. ثم ميمونة بنت الحارث. ثم زينب بنت عميس. ثم جويرية بنت الحارث. ثم صفية بنت حمى بن أخطب. والتى وهبت نفسها للنبى خولة بنت حكيم السلمى، وكان له سريتان يقسم لهما مع أزواجه: مارية القبطية. وريحانة الخندقية. والتسع اللاتى قبض عنهن: عائشة. وحفصة.

وأم سلمة. وزينب بنت جحش. وميمونة بنت الحارث. وأم حبيب بنت أبى سفيان. وجويرية. وسودة. وصفية، وأفضلهن: خديجة بنت خويلد.

ثم أم سلمة ثم ميمونة [1].

وقال أبو عمر فى الإستيعاب: اللواتى لم يختلف أهل العلم فيهن.

هن إحدى عشر امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ست من قريش، وواحدة من بنى إسرائيل من ولد هارون عليه السلام، وأربع من سائر العرب. وتوفى فى حياته صلى الله عليه وسلم من أزواجه اثنتان: خديجة بنت خويلد. وزينب بنت خزيمة، وتخلف منهن تسع بعده، وأما اللواتى اختلف فيهن ممن ابتنى بها أو فارقها أو عقد عليها ولم يدخل بها أو خطبها ولم يتم له العقد معها، فقد اختلف فيهن. وفى أسباب فراقهن اختلافاً كثيراً يوجب التوقف عن القطع بالصحة فى واحدة منهن [2].

وعن ابن هشام فى السيرة: لم يختلف أهل العلم على أنه صلى الله عليه وسلم. تزوج ست من قريش هن: خديجة بنت خويلد، وسودة بنت زمعة. وأم سلمة بنت أبى أمية. وعائشة بنت أبى بكر. وحفصة بنت عمر.

وأم حبيبة بنت أبى سفيان، وإنه تزوج من العربيات وغيرهن أربع هن: زينب بنت جحش وميمونة بنت الحارث. وزينب بنت خزيمة. وجويرية

---

[1] **تفسير الميزان ١٦/٣١٦**

[2] الإستيعاب ٣٤ / ١.

بنت الحارث، وتزوج من بنى إسرائيل واحدة هى: صفية بنت حيى من ولد هارون عليه السلام. وكان له سريتان يقسم لها مع أزواجه هما: مارية القبطية. وريحانة.

وبقراءة السيرة وبالنظر فى الدعوة فى زمن البعثة. يقف الباحث على أن زواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يحكمه البلاغ والإنذار والدعوة إلى الله عز وجل. فالنبى صلى الله عليه وآله وسلم تزوج ببعض هؤلاء الأزواج اكتساباً للقوة وازدياداً للعضد والعشيرة، وببعض هؤلاء استمالة للقلوب وتوقياً من بعض الشرور، وببعض هؤلاء ليقوم على أمرها بالإنفاق وإدارة المعاش وليكون سنة جارية بين المؤمنين فى حفظ الأرامل والعجائز من المسكنة والضيعة، وببعضها لتثبيت حكم مشروع وإجراء عملاً لكسر السنن المنحطة والبدع الباطلة الجارية بين الناس. كما فى تزوجه بزينب بنت جحش. وقد كانت زوجة لزيد بن حارثة ثم طلقها زيد وقد كان يدعى زيد بن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على نحو التبنى. وكانت زوجة المدعو ابنا عندهم كزوجة الابن الصلبى لا يتزوج بها الأب. فأبطل الإسلام ذلك.

وبالنظر فى ازدواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنساء. نجد إنه تزوج أول ما تزوج بخديجة رضى الله عنها. وعاش معها مقتصراً عليها نيفاً وعشرين سنة، وبعد وفاتها تزوج بسودة بنت زمعة وقد توفى عنها زوجها بعد الرجوع من هجرة الحبشة. وكانت سودة مؤمنة مهاجرة.

ولو رجعت إلى أهلها وهم يومئذ كفار لفتنوها كما فتنوا غيرها من المؤمنين والمؤمنات بالزجر والقتل والإكراه على الكفر.

وتزوج بزينب بنت خزيمة بعد قتل زوجها عبيدة بن الحارث يوم بدر شهيداً. وكانت من السيدات الفاضلات فى الجاهلية تدعى أم المساكين لكثرة برها للفقراء والمساكين. فصان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

بازدواجها ماء وجهها.

وتزوج بأم سلمة. واسمها هند. وكانت من قبل زوجة عبد الله بن عبد الأسد أبي سلمة. أول من هاجر إلى الحبشة. توفي من أثر جرح أصابه يوم أحد. وكانت أم سلمة زاهدة فاضلة ذات دين ورأي. فلما توفي عنها زوجها وكانت ذات أيتام تزوج بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وتزوج بجويرية. واسمها برة بنت الحارث سيد بني المصطلق بعد وقعة بني المصطلق. وقد كان المسلمون أسروا منهم مثنى بيت بالنساء والذراري. فتزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها. فقال المسلمون:

هؤلاء أصهار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي أسرهم وأعتقوهم. جميعاً. فأسلم بنو المصطلق بذلك ولحقوا عن آخرهم بالمسلمين وكانوا جما غفيراً. وأثر ذلك أثراً حسناً في سائر العرب. وكان هذا العمل من الأسباب الرئيسية لتصدع جبهة المشركين. وذلك أن أبا سفيان بن حرب كان يرتكز في حربه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على هذا البطن من خزاعة بني المصطلق. فلما أسلموا تصدعت جبهة أبو سفيان. وفتح الطريق أمام الدعوة بعد ذلك وأرسلت الرسائل إلى القادة والملوك.

وتزوج بصفية بنت حيي بن أخطب من نسل هارون عليه السلام.

وكانت في سبي خيبر. فاصطفاها وأعتقها وتزوج بها. وأقيمت بهذا الازدواج حجة دامغة على اليهود كما سيأتي.

وتزوج أم حبيبة. واسمها رملة بنت أبى سفيان. وكانت زوجة عبيد الله بن جحش. وهاجر معها إلى الحبشة الهجرة الثانية فتنصر عبيد الله هناك. وثبتت هى على الإسلام. وكان أبوها أبو سفيان فى مكة يجمع الجموع على الإسلام يومئذ. فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأحصنها.

وتزوج بحفصة بنت عمر. وقد مات زوجها بعد الهجرة مقدم النبى صلى الله عليه وآله وسلم من بدر. وتزوج عائشة بنت أبى بكر وهى بكر.

لقد قالوا: إن تعدد الزوجات لا يخلو من الانقياد لداعى الشهوة.

فأين هذا الانقياد وهذا الداعى؟ لقد تزوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم أول ما تزوج بخديجة وعاش معها مقتصراً عليها نيفاً وعشرين سنة وهذه المدة هى ثلثا عمره الشريف بعد الازدواج، ومن هذه المدة ثلاث عشرة سنة بعد نبوته قبل الهجرة من مكة، ثم هاجر إلى المدينة وشرع فى نشر الدعوة وإعلاء كلمة الدين. وتزوج بعدها من النساء منهن البكر ومنهن الثيب ومنهن الشابة ومنهن العجوز والمكتهلة، وكان ذلك ما يقرب من عشرة سنين، ثم حرم عليه النساء بعد ذلك إلا من هى فى حبالة نكاحه، ومن المعلوم أن هذه الفعال على هذه الخصوصيات، لا يقبل التوجيه بمجرد حب النساء والولوع بهن. والوله بالقرب منهن. فأول هذه السيرة وآخرها يناقضان ذلك [1].

ووفقاً لما نشاهده من العادة الجارية بين الناس. إن الرجل المتولع بالنساء المغرم بحبهن والخلاء بهن والصبوة إليهن. هذا الرجل تراه مجذوب إلى الزينة عشيق للجمال. حنين إلى الشباب ونضارة السن وطراوة الخلقة. فإذا نظرنا إلى هذه الخواص التى تتوفر فى الرجل المتولع بالنساء. نجد أنها لا تنطبق على سيرة النبى الأعظم صاحب الخلق العظيم صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه بنى بالثيب بعد البكر. وبالعجوز بعد الفتاة الشابة. فقد بنى بسودة بنت زمعة وهى مسنة. وبنى بزينب بنت جحش وسنها يومئذ يقرب على الخمسين بعدما تزوج بمثل عائشة وأم حبيبة.

وهكذا.

---

[1] تفسير الميزان ١٩٥ / ٤.

فإذا أضفنا إلى هذه الحركة فى الازدواج أنه صلى الله عليه وآله وسلم خير نساءه بين التمتيع والسراح الجميل وهو الطلاق إن كن يردن الدنيا وزينتها، وبين الزهد فى الدنيا وترك التزين والتجمل إن كن يردن الله ورسوله والدار الآخرة. على ما يشهد به قوله تعالى ﴿**يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً. وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً**﴾[1].

فهذا المعنى أيضاً أمام الباحث المتدبر لا ينطبق على حال رجل مغرم بجمال النساء صاب إلى وصالهن، فلا يبقى حينئذ للباحث المتعمق إذا أنصف إلا أن يوجه كثرة ازدواجه صلى الله عليه وآله وسلم، فيما بين أول أمره وآخر أمره، بعوامل أخرى غير عامل الانقياد لداعى الشهوة حيث الشره والشبق والتلهي.

في ظلال الأوامر الإلهية لنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم

سار النبى بالدعوة فى طريق الزهد وترك الزينة وندب نساءه إلى ذلك. قال تعالى ﴿يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً. وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً. يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً. ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقاً كريماً. يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً.
وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى. وأقمن الصلاة وآتين

---

[1] سورة الأحزاب آية ٢٩.

الزكاة وأطعن الله ورسوله﴾[1].

قال صاحب تفسير الميزان: آيات راجعة إلى أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم تأمره أولاً: أن ينبئهن أن ليس لهن من الدنيا وزينتها إلا العفاف والكفاف إن اخترن زوجية النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ثم تخاطبهن ثانياً: إنهن واقفات فى موقف صعب على ما فيه من العلو والشرف، فإن اتقين الله يؤتين أجرهن مرتين. وإن أتين بفاحشة مبينة يضاعف لهن العذاب ضعفين، ويأمرهن بالعفة ولزوم بيوتهن من غير تبرج، والصلاة والزكاة وذكر ما يتلى فى بيوتهن من الآيات والحكمة. ثم يعد مطلق الصالحين من الرجال والنساء وعدا بالمغفرة والأجر العظيم فقوله تعالى ﴿**يا أيها النبى قل لأزواجك**﴾ إلى تمام الآيتين. أمر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يخيرهن بين أن يفارقنه ولهن ما يردن، وبين أن يبقين عنده ولهن ما هن عليه من الوضع الموجود. وقد ردد أمرهن بين أن يردن الحياة الدنيا وزينتها، وبين أن يردن الله ورسوله والدار الآخرة. وهذا الترديد يدل: أن الجمع بين سعة العيش وصفائها بالتمتع مع الحياة وزينتها وزوجية النبى صلى الله عليه وآله وسلم والعيشة فى بيته مما لا يجتمعان.

ونتبين من الآيات أن ليس لزوجية النبى صلى الله عليه وآله وسلم من حيث هى زوجية كرامة عند الله تعالى، وإنما الكرامة المقارنة لزوجيته المقارنة للإحسان والتقوى. ولذلك لما ذكر سبحانه ثانياً علو منزلتهن، قيده أيضاً بالتقوى فقال تعالى ﴿**لستن كأحد من النساء إن اتقتين**﴾ وهذا كقوله فى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً**﴾. إلى أن قال عز وجل ﴿**وعد الله الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات أجراً عظيماً**﴾ .

[1] سورة الأحزاب آيات ٢٨ – ٣٣.

حيث مدحهم عامة بظاهر أعمالهم أولاً، ثم قيد وعدهم الأجر العظيم بالإيمان والعمل الصالح [1].

وقال ابن كثير لدى تفسيره الآية: هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال. ولهن عند الله تعالى فى ذلك الثواب الجزيل [2].

وقال فى الميزان فى قوله تعالى ﴿فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً﴾ التمتيع إعطاؤهن عند التطليق ما لا يتمتعن به، والتسريح هو التطليق، والسراح الجميل: هو الطلاق من غير خصومة ومشاجرة بين الزوجين [3].

وقوله تعالى ﴿يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب شعفين﴾ الآية، عدلى سبحانه عن مخاطبة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيهن، إلى مخاطبتهن أنفسهن لتسجيل ما لهن من التكليف وزيادة التوكيد. وقوله ﴿**من يأت منكن بفاحشة مبينة**﴾ الفاحشة: الفعلة المبالغة فى الشناعة والقبح وهى الكبيرة. كإيذاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم، والافتراء والغيبة وغير ذلك، والمبينة: هى الظاهرة.

وقوله تعالى ﴿**ومن يقنت منكن لله ورسوله ويعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين**﴾ الآية. القنوت: الخضوع، وقيل: الطاعة، وقيل: لزوم الطاعة مع الخضوع، والاعتداد. التهيئة، والرزق الكريم مصداقه الجنة.

والمعنى: ومن يخضع منكن لله ورسوله. أو لزم طاعة الله ورسوله مع الخضوع، ويعمل عملاً صالحاً نعطها أجرها مرتين. وهيأنا لها رزقاً كريماً

---

[1] تفسير الميزان ٣٠٦ / ١٦.

[2] تفسير ابن كثير ٤٨٠ / ٣.

[3] تفسير الميزان ٣٠٦ / ١٦، ابن كثير ٤٨١ / ٣.

وهى الجنة.

وقوله تعالى ﴿**يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضن بالقول فيطمع الذي فى قلبه مرض**﴾ الآية. فالآية تنفى مساواتهن لسائر النساء إن اتقين، وترفع منزلتهن على غيرهن. ثم تذكر أشياء من النهى والأمر، متفرعة على كونهن لسن كسائر النساء كما يدل عليه قوله تعالى ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ وقوله ﴿وقرن﴾ وقوله ﴿ولا تبرجن﴾ الخ، وهى خصال مشتركة بين نساء النبى صلى الله عليه وآله. وسائر النساء، فتصدير الكلام بقوله ﴿لستن كأحد من النساء إن اتقيتن﴾ ثم تفريع هذه التكاليف المشتركة عليه، يفيد يأكد هذه التكاليف عليهن. كأنه قيل: لستن كغيركن. فيجب عليكن أن تبالغن فى امتثال هذه التكاليف، وتحتطن فى دين الله أكثر من سائر النساء، وتؤيد بل تدل على تأكد تكاليفهن. مضاعفة جزائهن. خيراً وشراً، كما دلت عليها الآية السابقة، فإن مضاعفة الجزاء لا تنفك عن تأكد التكليف.

وقوله تعالى ﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي فى قلبه مرض﴾ بعد ما بين علو منزلتهن ورفعة قدرهن لمكانهن من النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وشرط فى ذلك التقوى فبين أن فضيلتهن بالتقوى لا بالاتصال بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم، نهاهم عن الخضوع فى القول، وهو ترقيق الكلام وتليينه مع الرجال، بحيث يدعو إلى الريبة وتثير الشهوة، فيطمع الذي فى قلبه مرض. وهو فقدانه قوة الإيمان. التى تردعه عن الميل إلى الفحشاء.

وقوله تعالى ﴿وقلن قولاً معروفاً﴾ أي كلاماً معمولاً مستقيماً يعرفه الشرع والعرف الإسلامى. وهو القول الذي لا يشير بلحنه إلى أزيد من مدلوله.

وقوله تعالى ﴿وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾

إلى قوله ﴿**وأطعن الله ورسوله**﴾.

قال المفسرون: أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة. لأن المرأة أقرب ما تكون بروحة ربها وهى فى قعر بيتها [1] وقيل: (قرن) من قر يقر. إذا أثبت. وأصله: أقررن، حذفت إحدى الرائين، أو من قار.

يقار: فإذا اجتمع، كناية عن ثباتهن فى بيوتهن ولزومهن لها، والتبرج: الظهور للناس كظهور البروج لناظريها. وقوله ﴿الجاهلية الأولى﴾ قيل: الجاهلية الأولى قبل البعثة، فالمراد الجاهلية القديمة. وقوله تعالى ﴿وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله﴾ أمر بامتثال الأوامر الدينية. وقد أفرد الصلاة والزكاة بالذكر من بينها، لكونهما ركنين فى العبادات والمعاملات، ثم جمع الجميع فى قوله تعالى ﴿وأطعن الله ورسوله﴾وطاعة الله هى امتثال تكاليفه الشرعية، وطاعة رسوله فيما يأمر به وينهى بالولاية المجعولة له عند الله. كما قال تعالى ﴿النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ [2].

الألقاب والمعاني

وضعت الشريعة نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى دائرة الأمومة، بمعنى: إن كل امرأة تزوجها النبى صلى الله عليه وآله وسلم تحمل لقب (أم المؤمنين) فيقال: أم المؤمنين خديجة وأم المؤمنين أم سلمة وأم المؤمنين حفصة وأم المؤمنين صفية وأم المؤمنين مارية...

إلخ. قال تعالى: ﴿النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ [3].

قال صاحب الميزان: فمعنى كون النبى أولى بهم من أنفسهم، إنه

[1] تفسير ابن كثير ٤٨٢ / ٣.

[2] تفسير الميزان ٣٠٩ / ١٦.

[3] سورة الأحزاب آية ٦.

أولى بهم منهم. ومعنى الأولوية هو رجحان الجانب إذا دار الأمر بينه وبين ما هو أولى منه، فالمحصل أن ما يراه المؤمن لنفسه من الحفظ والمحبة والكرامة واستجابة الدعوة، فالنبى أولى بذلك من نفسه، ولو دار الأمر بين النبى وبين نفسه فى شئ من ذلك، كان جانب النبى أرجح من جانب نفسه، ففيما إذا توجه شئ من المخاطر إلى نفس النبى، فليقه المؤمن بنفسه ويفده نفسه وليكن النبى أحب إليه من نفسه، وأكرم عنده من نفسه، ولو دعته نفسه إلى شئ. والنبى إلى خلافة، أو أرادت نفسه منه شيئاً وأراد النبى خلافه، كان المتعين استجابة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وطاعته وتقديمه على نفسه [1].

وقال ابن كثير: فى الصحيح: قال النبى صلى الله عليه وسلم:
والذي نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله ووالده والناس أجمعين [2]، وروى البخاري عن عبد الله قال: كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب. فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلى من كل شئ إلا نفسى. فقال النبى صلى الله عليه وسلم. لا والذي نفسى بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك. فقال عمر: فإنه الآن يا رسول الله لأنت أحب إلى من نفسى. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: الآن يا عمر [3].

وقال صاحب الميزان: وقوله تعالى ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ جعل تشريعى. أي: أنهن منهم. بمنزلة أمهاتهم فى وجوب تعظيمهن وحرمة نكاحهن بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم، والتنزيل إنما هو فى بعض آثار الأمومة، لا فى جميع الآثار كالتوارث بينهن وبين المؤمنين والنظر فى وجوههن كالأمهات وحرمة بناتهن على المؤمنين لصيرورتهن أخوات لهم.

---

[1] الميزان ٢٧٦ / ١٦.

[2] تفسير ابن كثير ٤٦٨ / ٣.

[3] رواه البخاري ك الإيمان، وأنظر ابن كثير ٤٦٧ / ٣.

وكصيرورة آبائهن وأمهاتهن أجداداً وجدات. وإخوتهن وأخواتهن أخوالا وخالات للمؤمنين [١].

وقال ابن كثير فى تفسير الآية: (وأزواجه أمهاتهم) أي فى الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام. ولكن لا تجوز الخلوة بهن. ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع [٢].

وعلى خلفية ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمؤمنين ووجوب تعظيم أمهات المؤمنين وحرمة نكاحهم بعد النبى صلى الله عليه وآله. حذر تعالى من التعدي بإيذاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم. ومن حرمة نكاح أزواجه. قال تعالى ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً﴾ [٣].

قال صاحب الميزان: والمعنى: أي ليس لكم إيذاؤه بمخالفة ما أمرتم به فى نسائه وفى غير ذلك. وليس لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً (إن ذلكم) أي نكاحكم أزواجه من بعده كان عند الله عظيماً، وفى الآية إشعار بأن بعضهم ذكر ما يشير إلى نكاحهم أزواجه بعده. وقوله تعالى ﴿إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شئ عليماً﴾ معناه ظاهر. وهو فى الحقيقة تنبيه تهديدي لمن كان يؤذي النبى صلى الله عليه وآله وسلم. أو يذكر نكاح أزواجه من بعده [٤]:

وقال ابن كثير فى تفسيره: عن سفيان عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾ قال: نزلت فى رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبى صلى الله عليه وسلم بعده. قال رجل لسفيان: أهى

---

[١] تفسير الميزان ٢٧٧ / ١٦.

[٢] ابن كثير ٤٦٨ / ٣.

[٣] سورة الأحزاب آية ٥٣.

[٤] الميزان ٣٣٧ / ٤.

عائشة؟ قال: قد ذكروا ذلك. وكذا قال مقاتل بن حيان. وعبد الرحمن بن زيد. وذكر بسنده عن السدي: إن الذي عزم على ذلك طلحة بن عبيد الله حتى نزل التنبيه على تحريم ذلك [١].

نظرات في دوائر الترغيب والترهيب

كان تعدد الزوجات سنة جارية فى غالب الأمم القديمة. وذكرت التوراة الحاضرة أن سليمان الملك تزوج مئات من النساء. ولما كان الدين الخاتم الذي بعث به النبى صلى الله عليه وآله وسلم دين يعتنى بتهذيب الأخلاق وتنظيم جميع نواحى الحياة الإنسانية. وإيجاد حلول للأرامل واليتامى والمساكين. ولما كان من مقاصد الشريعة تكثير نسل المسلمين وعمارة الأرض بين مجتمع مسلم عمارة صالحة ترفع الشرك والفساد، فإن الإسلام أمر بالازدواج فأحل النكاح وحرم الزنا والسفاح. وشرع الإسلام الازدواج بواحدة وأنفذ التكثير إلى أربع، والإسلام لم يشرع تعدد الزوجات على نحو الواجب والفرض على كل رجل مسلم. بمعنى أنه لم يأمر بأن على كل مسلم أن يتزوج بأربع زوجات، وإنما قيد التعدد بوثوق الرجل إنه سيقسط بينهن ويعدل. قال تعالى ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى. فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع. فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة...﴾ الآية [٢] قال فى الميزان: قوله تعالى ﴿وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾ أي: فأنكحوا واحدة لا أزيد. وقد علقه الله تعالى على الخوف.

وقال تعالى ﴿وك تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾ [٣].

---

[١] تفسير ابن كثير ٣/٥٠٦.

[٢] سورة النساء آية ٣.

[٣] سورة النساء آية ١٢٩.

قال فى الميزان: الآية: بيان الحكم العدل بين النساء الذي شرع لهن على الرجال فى قوله تعالى فى أول السورة ﴿وإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة﴾ والعدل هو الوسط بين الافراط والتفريط. ومن الصعب المستصعب تشخيصه. وخاصة من حيث تعلق القلوب تعلق الحب بهن. فإن الحب القلبى مما لا يتطرق إليه الاختيار دائماً، فبين تعالى إن العدل بين النساء بحقيقة معناه، وهو اتخاذ الوسط حقيقة. مما لا يستطاع للإنسان ولو حرص عليه. وإنما يجب على الرجل أن لا يميل كل الميل إلى أحد الطرفين. وخاصة طرف التفريط. فيذر المرأة كالمعلقة لا هى ذات زوج فتستفيد من زوجها، ولا أرملة فتزوج أو تذهب لشأنها فالجواب على الرجل من العدل بين النساء أن يسوي بينهن عملاً بإيتائهن حقوقهن من غير تطرف، والمندوب عليه أن يحسن إليهن. ولا يظهر الكراهة لمعاشرتهن ولا يسئ إليهن خلقاً. وكذلك كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [١].

ولما كانت الشريعة قد أنفذت التعدد إلى أربع. بمعنى أن الأمة وقفت فى تعدد الزوجات عند أربع. وانتقال الرجل من واحدة إلى أكثر مقيد بالعدل والقسط بين النساء، فإن إزدواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأكثر من أربع نسوة فيه دلائل على نبوته صلى الله عليه وآله وسلم. لأنه ازدواجه بين العدل فى جميع نواحى الحياة الزوجية وما يتفرع منها، وكما هو معروف أن التشريع لا بد له أن يحيط بجميع نواحى الحياة لتقوم به حجة الله على عباده. لهذا كان إزدواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأكثر من أربع من خصوصياته لأنه صلى الله عليه وآله وسلم الداعى إلى الله الذي صانه الله من الخطأ والغفلة فى تلقى الوحى من الله وحفظه وتبليغه.

وبالجملة: كان في إزدواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأكثر من أربع

---

[١] تفسير الميزان ١٠٢ / ٥.

بيان للقسط وللعدل وعلى خلفيته شقت الدعوة طريقها في عهد البعثة وسط القبائل. وعلى هذه الخلفية التقى التشريع والحركة في خطوة واحدة.

ولما كان التشريع الذي وراء إزدواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه بيان لإقامة المجتمع الصالح الذي تعتبر الأسرة نواته الأولى، ولأن هذا التشريع في حقيقته حجة على العباد ليتميز منهم الصالح والطالح، وعلى هذه الخلفية يكون الثواب والعقاب يوم القيامة، فإن الدين أمر زوجات النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأوامر ونهاهن بنواهي. وبين أن زوجية الأنبياء والرسل من حيث هي زوجية. ليس لها كرامة عند الله، وإنما الكرامة المقارنة لزوجية الأنبياء والرسل. هي المقارنة للإيمان وللإحسان والتقوى. ولقد أخبر القرآن الكريم بسيرة امرأة نوح وامرأة لوط. وبين أنهما لم يلتزما بخط النبوة والدعوة، ونتيجة لذلك لم ينفعهما زوجيتهما للنبيين الكريمين شيئاً فهلكتا في ضمن الهالكين من غير أدنى تمييز وكرامة. وبالجملة: فالدعوة لم تستثني أحداً من التكاليف الشرعية. فكما أن حجة التكاليف تحيط بالأمة فهي أيضاً تحيط بأزواج النبى صلى الله عليه وآله لأنهن ضمن نسيج الأمة.

ولقد أخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالغيب عن ربه جل وعلا. وبين عليه الصلاة والسلام طريق الأمن والأمان فيما يستقبل الناس من فتن، والباحث المتعمق فى أحاديث الأخبار بالغيب لا يسعه إلا أن يقر أن هذه الأحاديث حجة لله على عباده حتى قيام الساعة. وأن هذه الحجة المستمرة من دلائل النبوة الخاتمة. وكما حذر النبى صلى الله عليه وآله وسلم الأمة مما يستقبلها من مهلكات الفتن، حذر أمهات المؤمنين من الفتن وبين لهن أسباب النجاة منها، وأخبر أن الله تعالى ينظر إلى عباده كيف يعملون بعد أن أقيمت عليهم الحجة فى أنفسهم وعلى امتداد المسيرة

فى الماضى والحاضر والمستقبل، ومن الأحاديث التى حذر فيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم. ما روي عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: إن النبى صلى الله عليه وسلم استيقظ ليلة فقال (سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن؟ ماذا أنزل من الخزائن؟ من يوقظ صواحب الحجرات؟ رب كاسية فى الدنيا عارية فى الآخرة [1] قال صاحب تحفة الأحوازي: إن النبى صلى الله عليه وسلم أوحى إليه ما سيقع بعده من الفتن. وقوله (من يوقظ صواحب الحجرات) يعنى: أزواجه. وإنما خصهم بالإيقاظ لأنهن الحاضرات. وأشار إلى موجب استيقاظ أزواجه. أن لا ينبغى لهن أن لا يتغافلن عن العبادة ويعتمدون على كونهن أزواج النبى وقال الحافظ:
واختلف فى المراد بقوله (كاسية وعارية)، على أوجه: (أحدهما) كاسية فى الدنيا بالثياب لوجود الغنى. عارية فى الآخرة من الثواب لعدم العمل فى الدنيا (ثانيهما) كاسية من نعم الله. عارية من الشكل الذي تظهر ثمرته فى الآخرة بالثواب. فأراد صلى الله عليه وسلم تحذير أزواجه من ذلك كله. وكذا غيرهن ممن بلغه ذلك [2].

وبعد أن أحكمت الدعوة حجتها فى هذا الباب، قامت بتنظيم حركة الأمة نحو بيت النبوة. ومن ذلك إنها حذرت من الإفتراء. وبينت أن الإفتراء يكون عظيماً إذا كان متعلقاً بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم. ومن الإفتراء العظيم الطعن فى نزاهة بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم. لأن ذلك يؤدي إلى فضحه بين الناس. وعلى هذه الخلفية تلتبس الأمور وتكون سبباً لقلب الدين من رأس.

وأخبرت الدعوة الخاتمة. إن المجتمع الصالح من سعادته أن يتميز فيه أهل الزيغ والفساد ليكونوا على بصيرة من أمرهم وينهضوا لإصلاح ما

---

[1] رواه الإمام أحمد والبخاري والترمذي (تحفة الأحوازي ٤٤٠ / ٦).

[2] تحفة الأحوازي شرح جامع الترمذي ٤٤٠ / ٦.

فسد من أعضائهم، وأمرت الدعوة المؤمنين بها أن يقفوا صفاً واحداً كنفس واحدة متلبسة بالإيمان ولوازمه وآثاره، وأن لا يظنوا بأنفسهم إلا خيراً. فأمام هذا التكاتف وحده يسقط أصحاب البهتان العظيم. لأنهم أصحاب الخبر الذي لا علم لمخبره. وأصحاب الدعوى التي لا بينة لمدعيها عليها. ولو كانوا صادقين فيما يقولون ويرمون به بيت النبوة.
لأقاموا على ما يقولون الشهادة. وهي في الزنا بأربعة شهداء. فإن لم يأتوا بالشهداء. فهم محكومون شرعاً بالكذب. لأن الدعوى من غير بينة كذب وإفك.

وتنظيم الحركة نحو بيت النبوة في هذا الباب. كان فيه تحصين للدعوة ورفع من أمامها الكثير من المعوقات. وفي حركة أخرى. قامت الدعوة بتحريم زوجات النبى صلى الله عليه وآله وسلم من بعده. فبينت أن زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة أمهاتهم في وجوب تعظيمهن وحرمة نكاحهن بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن وراء ذلك حكمة ومن وراء الحكمة هدفاً، من ذلك إن نكاحهن غير النبى بعد الوحى والتشريع لازم أن الازدواج سيكون من رجال لا علاقة لهم بالوحي والتشريع. وربما يجد البعض في حركة هذا الازدواج - وهي حركة في مجملها غير معصومة - ما تشتهيه أنفسهم فيتخذون هذا ذريعة لقلب التشريع في هذا الباب من رأس، فلهذا ولغيره أغلقت الدعوة المنافذ ونظمت الحركة في اتجاه بيت النبوة، وأمرت المؤمنين بها أن يكون النبى صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة لهم فى حركته وسكونه وفى قوله وفعله. لأنه وحده حجة على الناس في هذا الباب وفي غيره.

وهكذا أقامت الدعوة الخاتمة حجتها وبينت أن السعادة الحقيقية إنما هي بالإخلاص لله ولرسوله وحسن الطاعة. وإتماماً للفائدة وإكمالاً

للغرض، نقدم بعضا من سيرة أمهات المؤمنين. وسنلقى الضوء على هذه السيرة إذا كان الحدث متعلقاً بحركة الدعوة. بمعنى إذا كان مقدمة جاءت عليها نتيجة أو قامت عليها حجة. وإذا كان عرضى للأحداث سيكون مختصرا. إلا إنه لن يخلو مما يشير إلى معالم الصبر والرحمة والوفاء والزهد والصدقة وحب المساكين، ولن يخلو من المعنى الذي يحمل معالم سنة الامتحان والابتلاء الإلهى التى لا يستثنى الله منها أحداً من عباده. فتحت هذه السنة الإلهية. ينظر الله تعالى إلى عباده كيف يعملون.

وعلى العمل يكون الثواب أو العقاب، والله هو التواب الرحيم. وهو الغفور الكريم.

١ - السيدة خديجة بنت خويلد

زواجها:

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وأمها فاطمة بنت زائدة بن جندب. وكانت خديجة تدعى في الجاهلية الطاهرة. وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمرو وذكر الطبراني: أنها ولدت لعتيق هند بن عتيق، ثم خلف عليها أبو هالة مالك بن بناش فولدت له هنداً وهالة. فهند بن عتيق بن عابد، وهند وهالة ابنا أبي هالة مالك بن بناش. أخو ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خديجة بنت خويلد. من أمهم [١].

وروي عن ابن عباس أن نساء أهل مكة احتفلن في عيد كان لهن في رجب، فلم يتركن شيئاً من إكبار ذلك العيد إلا أتينه. فبينما هن في عيدهن تمثل لهن رجل، فلما صار منهن قريباً نادى بأعلى صوته: يا نساء مكة إنه سيكون في بلدكن نبي يقال له أحمد. يبعث برسالة الله. فأيما امرأة استطاعت أن تكون له زوجاً فلتفعل. فحصبته النساء وقبحنه وأغلظن له، وأغضت خديجة على قوله ولم تعرض له فيما عرض فيه النساء [٢].

---

[١] رواه الطبراني (مجمع الزوائد ٢١٩ / ٩)، الإستيعاب / ابن عبد البر ٢٨٠ / ٤.

[٢] الطبقات الكبرى / ابن سعد ١٥ / ٧، الإصابة / ابن حجر ٦٠ / ٨

وروى عن نفيسة بنت أمية أنها قالت: كانت خديجة ذات شرف ومال كثير، وتجارة تبعث إلى الشام فيكون غيرها كعامة غير الشام، وكانت تستأجر الرجال وتدفع المال مضاربة، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وعشرين سنة. وليس له اسم بمكة إلا الأمين، أرسلت إليه خديجة بنت خويلد تسأله الخروج إلى الشام فى تجارتها مع غلامها ميسرة وقالت: أنا أعطيك ضعف ما أعطى قومك. ففعل رسول الله صلى الله عليه وآله. وخرج إلى سوق بصرى فباع سلعته التى أخرج. واشترى غيرها. وقدم بها فربحت ضعف ما كانت تربح. فأضعفت لرسول الله صلى الله عليه وآله ضعف ما سمت له، فم أرسلتنى إليه أعرض عليه نكاحها ففعل [1].

وروى صاحب الإصابة: إن سبب رغبتها فيه صلى الله عليه وآله وسلم. ما حكاه لها غلامها ميسرة مما شاهد من علامات النبوة ومما سمعه من بحيرا الراهب فى حقه [2] وقال صاحب الإستيعاب: وكانت خديجة إذ تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت أربعين سنة. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن خمس وعشرين سنة [3] وقال أبو عمر: وأجمع أهل العلم أن خديجة ولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع بنات هن: زينب وفاطمة ورقية وأم كلثوم، وأجمعوا أنها ولدت له ابنا يسمى القاسم. وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلم. وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل العلم، وزعم بعضهم أنها ولدت له ولداً يسمى الطاهر. وقال بعضهم: ما نعلمها ولدت له إلا القاسم وولدت له بناته الأربع، وقيل:

ولد لرسول الله صلى الله عليه وسلم. القاسم وبه يكنى وعبد الله وهو الطيب والطاهر وولدت له بناته الأربع. وقال أبو عمر: وقول الزبير وأكثر

---

[1] الطبقات الكبرى ١٦ / ٧.

[2] الإصابة ٦٠ / ٨.

[3] الإستيعاب / ٢٨٠ / ٤.

أهل النسب: إن عبد الله ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو: الطيب وهو الطاهر. له ثلاثة أسماء [1].

ولا يختلف أهل العلم: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. لم يتزوج قبل البعثة غير خديجة. ولا تزوج عليها أحداً من نسائه حتى ماتت [2].

إسلامها:

قال ابن إسحاق: كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدق محمداً صلى الله عليه وسلم فيما جاء به عن ربه وآزره على أمره. فكان لا يسمع من المشركين شيئاً يكرهه من رد عليه وتكذيب له إلا فرج الله عنه بها. تثبته وتصدقه وتخفف عنه. وتهون عليه ما يلقى من قومه [3].

وروي عن أبى رافع قال: أول من أسلم من الرجال على بن أبى طالب. وأول من أسلم من النساء خديجة [4].

وأخرج أحمد وابن سعد عن عفيف الكندي قال: جئت في الجاهلية إلى مكة. وأنا أريد أن أبتاع لأهلي من ثيابها وعطرها. فنزلت على العباس بن عبد المطلب، قال. فأنا عنده. وأنا أنظر إلى الكعبة وقد حلقت الشمس فارتفعت، إذ أقبل شاب حتى دنا من الكعبة. فرفع رأسه إلى السماء فنظر. ثم استقبل الكعبة قائماً مستقبلها، إذ جاء غلام حتى قام عن يمينه، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما. ثم ركع الشاب فركع الغلام وركعت المرأة. ثم رفع الشاب رأسه ورفع الغلام

---

[1] المصدر السابق ٢٨٢ / ٤.

[2] الإستيعاب ٢٨٣ / ٧، مجمع الزوائد ٢٢٠ / ٩.

[3] الإستيعاب ٢٨٣ / ٧.

[4] رواه البزار ورجاله الصحيح (الزوائد ٢٢٠ / ٩).

رأسه ورفعت المرأة رأسها. ثم خر الشاب ساجداً وخر الغلام ساجداً وخرت المرأة. قال فقلت: يا عباس إني أرى أمراً عظيماً. فقال العباس: أمر عظيم، هل تدري من هذا الشاب؟ قلت: ما أدري قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي. هل تدري من هذا الغلام؟ قلت: لا. ما أدري قال: هذا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن أخي، قال: هل تدري من هذه المرأة؟ قلت: لا. ما أدري. قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي هذا. إن ابن أخي هذا الذي ترى. حدثنا أن ربه رب السماوات والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه. فهو عليه. ولا والله ما علمت على ظهر الأرض كلها على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة. قال عفيف: فتمنيت بعد أني كنت رابعهم [١].

وروى عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده. قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين وصلت خديجة آخر يوم الاثنين [٢] وروى عن، ابن عباس قال: أول من صلى مع النبي بعد خديجة علي بن أبي طالب [٣] وعن أنس قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وصلى علي بن أبي طالب يوم الثلاثاء [٤].

مناقبها:

عن ابن عباس قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض أربعة خطوط. فقال: أتدرون ما هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال:

---

[١] رواه أحمد وقال الهيثمي رواه أحمد وغيره ورجاله ثقات (الزوائد ٢٢٣ / ٩) ورواه ابن سعد (الطبقات ١٨ / ٧) والطبراني عن ابن مسعود (كنز العمال ٤٦٧ / ١٣) ورواه ابن عبد البر (الإستيعاب ١٦٣ / ٣).

[٢] رواه ابن عبد البر (الإستيعاب ٢٨٣ / ٤).

[٣] رواه أحمد وقال في الفتح الرباني ١٢٢ / ٢٣ رجاله ثقات.

[٤] رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي (المستدرك ١١٢ / ٣) ورواه الترمذي.

أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة ابنة محمد صلى الله عليه وسلم. ومريم ابنة عمران وآسية ابنة مزاحم امرأة فرعون [١] وروى الترمذي عن أنس قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم: حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد. وفاطمة بنت محمد.
وآسية امرأة فرعون [٢] وقال صاحب التاج الجامع للأصول: أي يكفيك من فاضلات النساء كلهن هؤلاء الأربع. وفضل مريم وآسية لما تقدم فى سيرتهما. وفضل خديجة لصبرها الجميل وجليل ما صنعته من أعمال صالحة وآثار نافعة قيمة، وفضل فاطمة لأنها بضعة من محمد صلى الله عليه وسلم. وأم النسل الشريف كله [٣].

أخرج ابن السنى بسند له عن خديجة: إنها خرجت تلتمس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأعلى مكة. ومعها غداوته. فلقيها جبريل فى صورة رجل. فسألها عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فهابته وخشيت أن يكون بعض من يريد أن يقتله. فلما ذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لها: هو جبريل. وقد أمرنى أن أقرأ عليك السلام، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب [٤] وروى عن أبى هريرة قال: أتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك. معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب [٥]، فإذا هى أتتك. فأقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ومنى، وبشرها ببيت في الجنة من قصب. لا صخب فيه ولا نصب [٦].

---

[١] رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح (الزوائد ٢٢٣ / ٩).
[٢] رواه الترمذي بسند صحيح والنسائي والحاكم (التاج الجامع للأصول ٣٧٩ / ٣).
[٣] التاج الجامع / منصور ناصف ٣٧٩ / ٣.
[٤] الإصابة ٦٢ / ٨.
[٥] شك الراوي.
[٦] رواه البخاري ومسلم والترمذي (التاج الجامع ٣٧٨ / ٣).

وعن ابن أبى أوفى: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال لى جبريل صلى الله عليه وسلم. بشر خديجة ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب [1]. قال صاحب التاج الجامع للأصول:
القصب / اللؤلؤ المجوف المنظوم بالدر والياقوت، والصخب / الصياح، والنصب / الهم والتعب.

وفى رواية عندما بلغها النبى صلى الله عليه وسلم السلام من ربها جل وعلا ومن جبريل قالت: هو السلام. ومنه السلام. وعلى جبريل السلام.
وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته، فهذه منقبة لم ترد لأحد من بنات آدم عليه السلام. فما أعظمها مفخرة للدنيا والآخرة [2].

وفاتها رضى الله عنها:

قال أبو عمر: قيل: توفيت قبل الهجرة بخمس سنين. وقيل: بأربع سنين. وقال قتادة: توفيت خديجة قبل الهجرة بثلاث سنين. عندي أصح. وقال: ويقال كانت وفاتها بعد موت أبى طالب بثلاثة أيام [3].

وقال ابن إسحاق: كانت وفاة خديجة وأبى طالب فى عام واحد [4].
وكانت يوم توفيت بنت خمس وستين سنة. ودفنت فى الحجون [5]. ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حفرتها. ولم تكن شرعت الصلاة على الجنائز [6].

---

[1] قال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله ثقات (الزوائد ٢٢٤ / ٩).
[2] التاج الجامع ٣٧٨ / ٣.
[3] الإستيعاب ٢٨٩ / ٤.
[4] الإصابة ٦٢ / ٨.
[5] الإستيعاب ٢٨٩ / ٤.
[6] الطبقات ١٨ / ٧، الإصابة ٦٢ / ٨

٢ - السيدة سودة بنت زمعة

إسلامها وزواجها:

هي: سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حل بن عامر بن لؤي، وأمها الشموس بنت قيس بن زيد بن عمرو بن لبيد بن خراش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، قال أبو عمر:
تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة بعد موت خديجة وقبل العقد على عائشة. ولا خلاف أنه لم يتزوجها إلا بعد موت خديجة، وكانت قبل ذلك تحت ابن عم لها يقال له: السكران بن عمرو من بني عامر بن لؤي [١] وقال ابن سعد: أسلم زوجها السكران بن عمرو. وخرجا جميعاً مهاجرين إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية. وقدم السكران بن عمرو مكة من أرض الحبشة ومعه امرأته سودة بنت زمعة، فتوفي عنها بمكة، فلما حلت أرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخطبها.
فقالت: أمري إليك يا رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مري رجلاً من قومك يزوجك، فأمرت حاطب بن عمرو. فزوجها فكانت أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد خديجة [٢].

---

[١] الإستيعاب ٣٢٣ / ٤.

[٢] الطبقات الكبرى ٥٧ / ٧.

وروي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قالا: جاءت خولة بنت حكيم السلمية امرأة عثمان بن مظعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة، فقال: أجل، كانت أم العيال وربة البيت، قالت: أفلا أخطب عليك؟

قال: بلى فإنكن معشر النساء أرفق بذلك. فخطبت عليه سودة بنت زمعة [1].

مناقبها:

روى أبو عمر في الإستيعاب: أن سودة بنت زمعة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: أود أن أحشر في زمرة أزواجك. وإني قد وهبت يومي لعائشة. وإني لا أريد ما تريد النساء [2].

عن صالح مولى التؤمة قال: سمعت أبا هريرة يقول: حج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسائه عام حجة الوداع ثم قال: هذه الحجة ثم ظهور الحصر. قال أبو هريرة: وكان كل نساء النبي صلى الله عليه وسلم، يحججن إلا سودة بنت زمعة. وزينب بنت جحش، قالتا: لا تحركنا دابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] وفي رواية: كانت سودة تقول: لا أحج بعدها أبداً [4] وروي عن ابن سيرين: قالت سودة: حججت واعتمرت فأنا أقر في بيتي. كما أمرني الله عز وجل [5].

---

[1] المصدر السابق ٧/٥٧

[2] رواه الطبراني (الزوائد ٢٤٦ / ٧) وسنده ضعيف، وابن عبد البر (الإستيعاب ٣٢٣ / ٤).

[3] الطبقات الكبرى ٥٥ / ٧.

[4] الطبقات الكبرى ٥٥ / ٧.

[5] الطبقات الكبرى ٥٥ / ٧.

روي عن محمد بن عمر ابن الخطاب بعث إلى سودة بنت زمعة بغرارة من دراهم. فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم. قالت: فى الغرارة مثل التمر. يا جارية بلغينى القنع: قال. ففرقتها [1].

وفاتها:

وقال أبو عمر: توفيت سودة بنت زمعة فى آخر زمان عمر بن الخطاب. وقيل: توفيت سنة أربع وخمسين فى خلافة معاوية [2].

---

[1] الطبقات ٥٥ / ٧، الإصابة ٣٣٩ / ٤.

[2] الطبقات ٥٧ / ٧، الإصابة ٣٣٩ / ٤.

٣ - السيدة عائشة بنت أبي بكر

زواجها:

هى: عائشة بنت أبى بكر بن أبى قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، وأمها: أم رومان بنت عمير ابن عامر. قال أبو عمر: كانت عائشة تذكر لجبير بن مطعم وتسمى له [١] وروى ابن سعد عن أبى مليكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما خطب عائشة. قال أبو بكر: إنى كنت أعطيتها مطعماً لابنه جبير. فدعنى حتى أسلها منهم. فاستسلها منهم فطلقها. فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] وفى وراية: إن أبا بكر استسلها منهم قبل أن تخطبها خولة بنت حكيم السلمية امرأة عثمان بن مظعون لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروي أن النبى صلى الله عليه وآله تزوج عائشة بمكة قبل الهجرة بسنتين وقيل: بثلاث سنين. وابتنى بها بالمدينة. وفى رواية: تزوجها النبى صلى الله عليه وآله فى السنة الثانية أو الثالثة للهجرة وتوفى عنها وهى ابنة ثمانى عشرة سنة، وروي عن عباد بن حمزة عن عائشة قالت: قلت يا

---

[١] الإستيعاب ٣٥٧ / ٤.

[٢] الطبقات الكبرى ٥٩ / ٧، الإصابة ٣٥٩ / ٤.

رسول الله إن النساء قد اكتنين فكنني. قال: تكنى بابنك عبد الله بن الزبير. يعنى ابن أختها [1].

من وصايا النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

عن عطاء بن يسار. إن النبى صلى الله وسلم قال لأزواجه (أيتكن اتقت الله ولم تأت بفاحشة مبينة ولزمت ظهر مصيرها فهى زوجتى فى الآخرة) [2]وأخرج ابن سعد عن عروة عن عائشة أنها قالت: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة إن أردت اللحوق بى فليكفيك من الدنيا كزاد الراكب. وإياك ومجالسة الأغنياء. ولا تستخلفى ثوباً حتى ترقعيه [3].

وأخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالغيب عن ربه. وبين ما يستقبل للناس من أحداث. حتى يأخذوا بأسباب الحياة السعيدة. لأن الله تعالى ينظر إلى عباده كيف يعملون. وأن العباد لا يجب عليهم إلا الأخذ بتعاليم الدين وهم يسلكون فى الحياة. وما يستقبل أحدهم من أحداث ما هو إلا نتيجة لما قدموه من أعمال، وهذه النتيجة أخبر بها الله تعالى العليم المطلق سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومن أحاديث الإخبار بالغيب ما روي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأزواجه: أيتكن صاحبة الجمل الأدبب يقتل حولها قتلى كثير. وتنجو بعد ما كادت قال أبو عمر فى هذا الحديث: وهذا الحديث من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم [4] وذلك لأن ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم تحقق على عهد الإمام على بن أبى طالب. وروى الإمام أحمد عن قيس

---

[1] الطبقات ٦٣ / ٧، الإستيعاب ٣٥٨ / ٤.

[2] ابن سعد (كنز العمال ١٤٢ / ١٢).

[3] الطبقات الكبرى ٧٦ / ٧.

[4] الإستيعاب ٣٦١ / ٤.

قال: لما أقبلت عائشة وبلغت مياه بنى عامر ليلاً نبحت الكلاب. قالت:
أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب قالت: ما أظننى إلا إنى راجعة فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم. قالت:
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها ذات يوم (كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب) [1]وعلى هذه المقدمة كان يوم الجمل ما كان.

قطوف من سيرتها رضى الله عنها:

عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة. فيحسن الثناء عليها. فذكرها يوماً من الأيام فأدركتنى الغيرة. فقلت: هل كانت إلا عجوزاً، فقد أبدلك الله خيراً منها، فغضب، ثم قال: لا والله ما أبدلنى الله خيراً منها، آمنت بى إذ كفر الناس. وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى فى مالها إذ حرمنى الناس.

ورزقنى الله منها أولاداً إذ حرمنى أولاد النساء، قالت عائشة: فقلت فى نفسى لا أذكرها بسيئة أبداً [2].

وعن عائشة. قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرف استئذان خديجة وتذكره، فارتاع لذلك. فقال: اللهم هالة بنت خويلد. فغرت. فقلت: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش. حمراء الشدقين هلكت فى الدهر فأبدلك الله خيراً منها [3] قال صاحب التاج الجامع للأصول: هالة أخت خديجة.
استأذنت هالة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فتذكر خديجة لشبه

---

[1] رواه أحمد وقال في الفتح الرباني قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح (الفتح ١٣٧ / ٢٣).

[2] رواه أحمد وإسناده حسن (الزوائد ٢٢٤ / ٩) وابن عبد البر (الإستيعاب ٢٨٧ / ٤) وابن كثير (البداية والنهاية ٩٢ / ٨).

[3] رواه أحمد (الزوائد ٢٢٤ / ٩) والبخاري ومسلم (التاج الجامع ٣٧٩ / ٣).

صوتهما. فقال: اللهم هذه هالة. فغارت عائشة فقالت: وما تذكر إلا عجوزاً من عجائز قريش. حمراء الشدقين: أي سقطت أسنانها وبقيت حمرة اللثاث. ماتت وذهبت وأبدلك الله خيراً منها. تريد نفسها لصغر سنها، فغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم. حتى قالت له: لا أذكرها بعد هذا إلا بخير [١].

وفي الصحيح عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة يقول: أرسلوا إلي أصدقاء خديجة. قالت عائشة. فذكرت له يوماً. فقال: إني لأحب حبها [٢].

وأخرج ابن سعد عن القاسم قال: كانت عائشة استقلت بالفتوى في عهد أبي بكر وعمر وعثمان [٣] ومما أرسله أصحاب الحديث وأصحاب التواريخ والسير إرسال المسلمات. أن عائشة شاركت في الحرب وقادت المعارك والرجال. وكانت تبعث بالرسائل لرؤساء القبائل. وكانت تأمر وتنهى. وعمل طلحة والزبير تحت قيادتها في معركة الجمل. ومما روي في هذه الأحداث. روى البيهقي عن الحسن البصري: أن الأحنف بن قيس قال لأم المؤمنين عائشة: يا أم المؤمنين هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المسير؟ قالت: اللهم لا. قال: فهل وجدته في شئ من كتاب الله جل ذكره؟ قالت: ما نقرأ إلا ما تقرأون. فقال: فهل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ستعان بشئ من نسائه إذا كان في قلة والمشركين في كثرة؟ قالت: اللهم لا. فقال الأحنف: فإذا ما هو ذنبنا [٤] وروي أن أبا الأسود الدؤلي قال لها: ما أنت من السوط والسيف. إنما أنت حبيس رسول الله صلى الله عليه وسلم. أمرك الله أن تقري في بيتك

---

[١] التاج الجامع ٣٧٩ / ٣.

[٢] الإصابة ٦٢ / ٨.

[٣] الطبقات ٣٧٥ / ٨

[٤] المحاسن والمساوئ / البيهقي ٣٥ / ١.

وتتلى كتاب ربك. وليس على النساء قتال. ولا لهن الطلب بالدماء. وإن أمير المؤمنين على بن أبى طالب لأولى بعثمان منك وأحسن رحماً. فإنهما أبناء عبد مناف. قالت: لست بمنصرفة حتى أمضى لما قدمت إليه. أفتظن يا أبا الأسود أن أحداً يقدم على قتالى. فقال: أما والله لنقاتلنك قتالاً أهونه لشديد [١] وروي أن زيد بن صوحان كتب إلى أم المؤمنين عائشة: أما بعد. فأنا ابنك المخلص إن اعتزلت هذا الأمر ورجعت إلى بيتك. وإلا فأنا أول من نابذك. وقال زيد بن صوحان: رحم الله أم المؤمنين. أمرت أن تلزم بيتها. وأمرنا أن نقاتل، فتركت ما أمرت به وأمرتنا به. وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه [٢].

وكانت رضى الله عنها تتصدق على الفقراء والمساكين حتى توفاها الله. وكانت تظهر النعمة وتتحدث بها. فعن ذكوان مولى عائشة قال: قدم درج من العراق فيه جواهر إلى عمر بن الخطاب. فقال لأصحابه: أتدرون ما ثمنه. فقالوا: لا. ولم يدروا كيف يقسمونه. فقال: أتأذنون أن أرسل به إلى عائشة لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها. قالوا: نعم. فبعث به إليها [٣] وأخرج ابن سعد عن مصعب بن سعد قال:. فرض عمر لأمهات المؤمنين عشرة آلاف. وزاد عائشة ألفين. وقال: إنها حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤].

وفى عهد معاوية بن أبى سفيان. تعهد معاوية أم المؤمنين بالعطايا. روي عن عروة أن معاوية بعث إلى عائشة بمائة ألف [٥] وأخرج ابن كثير

---

[١] العقد الفريد / ابن عبد البر ٢٧٨ / ٢، الإمامة والسياسة / ابن قتيبة ٦٠ / ١.

تاريخ الأمم والملوك / الطبري ١٨٤ / ٥، البداية والنهاية / ابن كثير ٢٣٤ / ٧، الإمامة والسياسة ٦٠ / ١.

[٣] الحاكم (المستدرك ٨ / ٤) وسير أعلام النبلاء ١٣٣ / ٢.

[٤] الطبقات الكبرى ٦٧ / ٨

[٥] الحلية / أبو نعيم ٤٧ / ٧، سير أعلام النبلاء ١٣١ / ٢، المستدرك ١٣ / ٤.

عن عطاء. قال: بعث معاوية إلى عائشة وهى بمكة بطوق قيمته مائة ألف فقبلته [١] وروى ابن كثير عن سعيد بن العزيز قال: قضى معاوية عن عائشة أم المؤمنين ثمانية عشر ألف دينار. وما كان عليها من الدين الذي كانت تعطيه للناس[٢]. وأخرج أبو نعيم عن عبد الرحمن بن القاسم قال: أهدى معاوية لعائشة ثياباً وورقاً وأشياء توضع فى أسطوانتها [٣].

وكما ذكرنا إنها رضى الله عنها كانت قد استقلت بالفتوى فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان. وكما ذكرنا إنها رضى الله عنها كانت تتحدث بالنعمة. ومن ذلك ما أخرجه ابن سعد عن القاسم بن محمد قال: إن عائشة كانت تلبس الأحمر المذهب والمعصفر وهى محرمة [٤] وعن عمرو بن أبى عمرو قال: سألت القاسم بن محمد. إن ناساً يزعمون إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الأحمرين العصفر والذهب.
فقال: كذبوا. والله لقد رأيت عائشة تلبس المعصفرات وتلبس خواتم الذهب [٥] وعن حبيبة بنت عباد عن أمها قالت: رأيت على عائشة درعاً أحمراً وخماراً أسود [٦] وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أمه قالت: رأيت على عائشة ثياباً حمرا كأنها شرر وهى محرمة [٧].

وفاتها:

عن قيس بن أبى حازم. قالت عائشة: إنى أحدثت بعد رسول الله

---

[١] سير أعلام النبلاء ١٣١ / ٢.
[٢] المصدر السابق ١٣١ / ٢.
[٣] الحلية ٤٨ / ٢.
[٤] الطبقات الكبرى ٧٠ / ٧.
[٥] المصدر السابق ٧٠ / ٧.
[٦] المصدر السابق ٧١ / ٧.
[٧] المصدر السابق ٧ / ٧١.

صلى الله عليه وسلم حدثاً. أدفنونى مع أزواجه [1] وعن عيسى بن دينار قال. سألت أبا جعفر عن عائشة فقال: أستغفر لها. أما علمت ما كانت تقول: يا ليتنى كنت شجرة. يا ليتنى كنت حجراً. يا ليتنى كنت مدرة.
قال قلت: وما ذاك منها؟ قال: توبة [2] وعن عمارة بن عمير قال: كانت عائشة إذا قرأت هذه الآية: ﴿وقرن فى بيوتكن﴾ بكت حتى تبل خمارها [3].

قال أبو عمر: وتوفيت عائشة سنة سبع وخمسين. وقيل: سنة ثمان وخمسين. ودفنت من ليلتها بعد الوتر بالبقيع وصلى عليها أبو هريره [4].

---

[1] رواه الحاكم وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرك ٦ / ٤) وابن سعد (الطبقات ٧٤ / ٧).

[2] الطبقات الكبرى ٧٤ / ٧.

[3] المصدر السابق ٨١ / ٧.

[4] الإستيعاب ٣٦٠ / ٤، الطبقات ٨٠ / ٧، التاج الجامع ٣٧٩ / ٣.

٤ ـ السيدة حفصة بنت عمر

زواجها:

هى: حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عدي بن كعب بن لؤي، وأمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب. ولدت حفصة وقريش تبنى البيت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم بخمس سنين. وأخرج ابن سعد عن أبى الحويرث قال: تزوج خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي حفصة بنت عمر بن الخطاب. فكانت عنده وهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها بعد الهجرة مقدم النبى صلى الله عليه وسلم من بعد [١] وروي عن حسين بن أبى حسين قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة فى شعبان على رأس ثلاثين شهراً قبل أحد [٢] وقال أبو عمر: تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة ثلاث من الهجرة. وقيل: تزوجها سنة اثنتين من التاريخ [٣].

وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب. إن النبي صلى الله عليه وسلم. طلق حفصة ثم راجعها [٤].

---

[١] الطبقات الكبرى ٨١ / ٧.

[٢] المصدر السابق ٨٣ / ٧.

[٣] الإستيعاب ٢٦٩ / ٤.

[٤] الطبقات الكبرى ٨٤ / ٧، الإصابة ٥١ / ٨.

وفاتها رضى الله عنها:

قال أبو عمر: أوصى عمر بن الخطاب بعد موته إلى حفصة، وأوصت حفصة إلى عبد الله بن عمر بما أوصى به عمر وبصدقة تصدقت بها وبمال وقفته بالغاية. وتوفيت سنة إحدى وأربعين. وقال أبو معشر وغيره: توفيت سنة خمس وأربعين [١]. وأخرج ابن سعد أنها توفيت سنة خمس وأربعين فى خلافة معاوية بن أبى سفيان وهى يومئذ ابنة ستين سنة [٢] وصلى عليها مروان بن الحكم وهو يومئذ عامل المدينة [٣].

---

[١] الإستيعاب ٢٧٠ / ٤.

[٢] الطبقات الكبرى ٨٦ / ٧.

[٣] المصدر السابق ٨٦ / ٧.

٥ ـ السيدة زينب بنت خزيمة

زواجها:

هى: زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال.

قال ابن سعد: وهى أم المساكين. وكانت تسمى بذلك فى الجاهلية. وكانت عند الطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف فطلقها. فتزوجها عبيدة بن الحارث فقتل عنها يوم بدر شهيداً [١].

وروي عن محمد بن قدامة عن أبيه قالاً: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين. فجعلت أمرها إليه. فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأشهد وأصدقها اثنى عشرة أوقية ونشاً. وكان تزويجه إياها فى شهر رمضان. على رأس إحدى وثلاثين شهراً من الهجرة [٢]. وقيل: سنة ثلاث من الهجرة.

---

[١] الطبقات الكبرى ١١٥ / ٧.

[٢] المصدر السابق ١١٥ / ٧، الإصابة ٣١٦ / ٤.

وفاتها رضى الله عنها:

أخرج ابن سعد عن محمد بن قدامة عند أبيه قالا: مكثت زينب عند رسول الله صلى لله عليه وسلم ثمانية أشهر وتوفيت فى آخر شهر ربيع الآخر على رأس تسعة وثلاثين شهراً من الهجرة. وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ودفنها بالبقيع [١] وأخرج أبو عمر: لم تلبث زينب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شهرين أو ثلاثة [٢].

---

[١] المصدر السابق ١١٦ / ٧.

[٢] الإستيعاب ٣١٢ / ٤، الإصابة ٣١٥ / ٤.

٦ ـ السيدة أم سلمة بنت أبي أمية

زواجها:

هى: هند بنت أبى أمية. واسمه سهيل زاد الراكب بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة من بنى مالك بن كنانة.

كانت أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد. فولدت له سلمة وعمر وزينب ثم توفى عنها. فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [١] وروى الحاكم عن مصعب بن عبد الله قال: كانت أم سلمة هى أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة. وكانت قبل النبى صلى الله عليه وسلم عند أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد. وهو أول من هاجر إلى أرض الحبشة. وشهد بدراً وتوفى على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فولدت لأبى سلمة. سلمة وعمر ودرة وزينب [٢].

وعن أبى جعفر قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم. دخل على

---

[١] رواه الطبراني (الزوائد ٢٤٥ / ٩).

[٢] الحاكم (المستدرك ١٦ / ٤)، الإستيعاب ٤٥٤ / ٤.

أم سلمة حين توفى أبو سلمة. فذكر ما أعطاه الله وما قسم له وما فضله.
فما زال يذكر ذلك ويتحامل على يده. حتى أثر الحصير فى يده مما يحدثها [١] وروى الحاكم وغيره: لما انقضت عدة أم سلمة خطبها أبو بكر فردته. وخطبها عمر فردته [٢] وروى ابن سعد عن أم سلمة قالت: لما خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: إنى فى خلال لا ينبغى لى أن أتزوج رسول الله. إنى امرأة مسنة. وإنى أم أيتام. وإنى شديدة الغيرة.
قالت. فأرسل إلى رسول الله: أما قولك إنى امرأة مسنة فأنا أسن منك.
ولا يعاب على المرأة أن تتزوج أسن منها. وأما قولك إنى أم أيتام فإن كلهم على الله وعلى رسوله. وأما قولك إنى شديدة الغيرة. فإنى أدعو الله أن يذهب ذلك عنك. قالت: فتزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم.
فانتقلنى فأدخلنى بيت زينب بنت خزيمة أم المساكين بعد أن ماتت. فإذا جرة. فاطلعت فيها فإذا فيها شئ من شعير. وإذا رحى وبرمة وقدر.
فنظرت فإذا فيها كعب من إهالة. قالت: فأخذت ذلك الشعير فطحنته ثم عصدته فى البرمة وأخذت الكعب من الإهالة فأدمته به. قالت: فكان ذلك طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم. وطعام أهله ليلة عرسه [٣].

وروى الحاكم عن عمر بن أبى سلمة: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تزوج أم سلمة. فى ليال بقين من شوال سنة أربع. ثم إن أهل المدينة قالوا: دخلت أيم العرب على سيد الإسلام والمسلمين أول العشاء عروساً، وقامت من آخر الليل تطحن وير أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها [٤].

---

[١] الطبقات الكبرى ٩١ / ٧.

[٢] الحاكم (المستدرك ١٧ / ٤) الطبقات الكبرى ٨٩ / ٧.

[٣] الطبقات الكبرى ٨٩ / ٧.

[٤] رواه الحاكم (المستدرك ١٨ / ٤) ابن سعد (الطبقات ٩٢ / ٧).

مناقبها:

وروي عن سلمان قال: أتى جبريل عليه السلام نبى الله صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة. فجعل يتحدث ثم قام. فقال نبى الله لأم سلمة: من هذا؟ أو كما قال. قالت: هذا دحية الكلبى. قالت: والله ما حسبته إلا إياه. حتى سمعت خطبة النبى صلى الله عليه وسلم يخبر خبرنا [1] قال صاحب التاج الجامع للأصول: فأم سلمة رأت جبريل يتحدث مع النبى صلى الله عليه وسلم. فلما سألها من هذا. ما فهمت إلا أنه دحية الكلبى. لأنه كان يأتى فى صورته أحياناً. ففيه فضل أم سلمة لرؤيتها لجبريل ولحضوره فى مجلسها [2].

وروي عن إياس عن أم الحسين. أنها كانت عند أم سلمة. فأتى مساكين فجعلوا يلحون وفيهم نساء. فقلت: أخرجوا أو أخرجن. فقالت أم سلمة: ما بهذا أمرنا يا جارية. ردي كل واحد وواحدة ولو بتمرة تضعيها فى يدها [3].

وروى الإمام أحمد عن عطاء بن رباح أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى بيت أم سلمة فأتته فاطمة. فقال أدعى زوجك وابنيك. فجاء على والحسن والحسين. فدخلوا عليه فجلسوا على دثار. وكان تحته كساء له خيبري. قالت أم سلمة وأنا أصلى فى الحجرة. فأنزل الله عز وجل ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ [4] فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم فضل. الكساء فغشاهم به. ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم هؤلاء أهل بيتى

---

[1] رواه مسلم (التاج الجامع ٣٨٣ / ٣).

[2] التاج ٣٨٣ / ٣.

[3] ابن عبد البر (الإستيعاب ٤٥٥ / ٤).

[4] سورة الأحزاب آية ٣٣.

وخاصتى. فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) قالت أم سلمة: فأدخلت رأسى البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال لا (إنك إلى خير إنك إلى خير) [1].

من معالم الإرشاد:

مما روته أم سلمة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. يتبين أن أم سلمة كانت حجة بذاتها. نظراً لما شاهدته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما أخبرها به. فلقد شاء الله تعالى أن تنزل آية التطهير فى بيت أم سلمة. وأن تشهد أم سلمة أصحاب هذه الآية. وشاء الله تعالى أن ينزل جبريل وغيره من الملائكة عليهم السلام فى بيتها.

ويخبروا النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقتل الحسين بن على بن أبى طالب. وهو واحد من أهل الكساء الذين نزلت فى حقهم آية التطهير.

ولقد روي عن أم سلمة: أحاديث تبين ما يستقبل الناس من الفتن. وكانت هذه الروايات فى حقيقة الأمر دعوة من أجل الأخذ بأسباب الحياة الكريمة. ومما روي عن أم سلمة فى هذا الباب عن عبد الله بن رافع عن أم سلمة قالت: أشهد إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أحب علياً فقد أحبنى. ومن أحبنى فقد أحب الله. ومن أبغض علياً فقد أبغضنى ومن أبغضنى فقد أبغض الله [2] وعن ثابت مولى أبى ذر. قال: كنت مع علي بن أبي طالب يوم الجمل. فلما رأيت عائشة دخلني بعض ما يدخل الناس. فكشف الله عني ذلك عند صلاة الظهر فقاتلت مع أمير المؤمنين. فلما فرغ ذهبت إلى المدينة. فأتيت أم سلمة. فقلت: إني والله ما جئت أسال طعاماً ولا شراباً. ولكني مولى لأبي ذر. فقالت: مرحباً.

---

[1] رواه الإمام أحمد ورواه الحاكم وأقره الذهبي (الفتح الرباني ٣٣٨ / ١٨)

[2] رواه الطبراني وقال الهيثمي إسناء حسن (الزوائد ١٣٢ / ٩) (كنز العمال ٦٢٢ / ١١).

فقصصت عليها قصتي. فقالت: أين كنت حين طارت القلوب مطائرها؟ قلت: إلى حيث كشف الله ذلك عني عند زوال الشمس. قالت: أحسنت. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (علي مع القرآن والقرآن مع علي. لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض) [1].

وروي عن مالك بن جعونة قال: سمعت أم سلمة تقول: علي مع الحق. ومن تبعه فهو على الحق. ومن تركه ترك الحق. عهداً معهوداً قبل يومه هذا [2].

وعن أم سلمة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً ذات يوم في بيتي. فقال: لا يدخل علي أحد. فانتظرت. فدخل الحسين.

فسمعت نشيج [3] رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي. فاطلعت فإذا حسين في حجره والنبي صلى الله عليه وسلم يمسح جبينه وهو يبكي. فقلت: والله ما علمت حين دخل [4] فقال: إن جبريل كان معنا في البيت. قال أفتحبه؟ قلت: أما من الدنيا فنعم فقال: إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء [5].

وعندما فتحت أبواب الفتن لأخذ الناس بأسبابها. قتل الحسين بن على عليهما السلام. وروي عن سلمى قالت: دخلت على أم سلمة وهى تبكى. فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام. وعلى رأسه ولحيته التراب. فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال:

---

[1] رواه الحاكم وأقره الذهبي (المستدرك ١٢٤ / ٣) والطبراني (كنز العمال ٦٠٣ / ١١).

[2] رواه الذهبي في ميزان الاعتدال ترجمة مرسي بن قيس (ميزان الاعتدال ٢١٧ / ٤).

[3] نشيج / أي صوت معه توجع وبكاء.

[4] أي إنها تعجبت حين وجدت الحسين.

[5] قال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله ثقات (الزوائد ١٨٩ / ٩).

شهدت قتل الحسين آنفاً) [1]وروى الحاكم عن شهر بن حوشب قال: أتيت أم سلمة أعزيها بقتل الحسين بن على [2] وروي أن أم سلمة قالت عندما بلغها قتل الحسين: قد فعلوها ملأ الله قبورهم – أو بيوتهم عليهم ناراً.
ووقعت مغشياً عليها [3].

لقد قدر لأم سلمة رضى الله عنها أن تشهد المقدمات والنتائج. وبين المقدمة وبين النتيجة كانت الحجة بالبلاغ فوق رؤوس المسيرة. ولله فى عباده شؤون.

وقال صاحب الإصابة: كانت أم سلمة موصوفة بالعقل البالغ والرأي الصائب. وإشارتها على النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تدل على وفور عقلها وصواب رأيها [4] وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه بعد ما كتب كتاب الصلح يوم الحديبية: انحروا بدنكم وأحلقوا رؤوسكم. فامتنعوا وقالوا: كيف ننحر ونحلق ولم نطف بالبيت ولم نسع بين الصفا والمروة. فاغتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشكا ذلك لأم سلمة فقالت: يا رسول الله انحر أنت وأحلق. فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق. فنحر القوم [5].

ومما يدل على رجاحة عقلها أيضاً. روي عن عبد الله بن رافع قال:
كانت أم سلمة تحدث أنها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر وهى تمتشط: أيها الناس، فقالت لماشطتها: لفى رأسى. قالت:
فديتك إنما يقول: أيها الناس. قالت أم سلمة: ويحك أو لسنا من الناس. فلفت رأسها وقامت فى حجرتها فسمعته يقول: أيها الناس بينما

---

[1] رواه الحاكم (المستدرك ١٩ / ٤) وابن كثير (البداية ٢١٧ / ٨).

[2] رواه الحاكم (المستدرك ١٩ / ٤).

[3] البداية والنهاية ٢١٨ / ٨.

[4] الإصابة ٤٥٩ / ٤.

[5] تفسير الميزان ٢٦٨ / ١٨.

أنا على الحوض جئ بكم زمراً. فتفرقت بكم الطرق [١]. فناديتكم: ألا هلموا إلى الطريق [٢]. فنادانى مناد من بعدي [٣] فقال: إنهم قد بدلوا بعدك [٤]. فقلت: ألا سحقاً سحقاً [٥].

وفاتها:

قال ابن حيان: ماتت سنة إحدى وستين بعد ما جاءها نعى الحسين بن على [٦] وقال أبو نعيم: ماتت سنة اثنتين وستين وهى آخر أمهات المؤمنين موتاً [٧] وروى الحاكم عن عطاء بن السائب قال: كنا قعوداً مع محارب بن دثار فقال: حدثنى ابن سعيد بن زيد أن أم سلمة أوصت أن يصلى عليها سعيد بن زيد. خشية أن يصلى عليها مروان بن الحكم [٨] وقال أبو عمر: دخل قبرها عمر وسلمة ابنا أبى سلمة ودفنت بالبقيع رحمة الله عليها [٩].

---

[١] أي / بعضهم سلك الطريق إلى الحوض. وبعضهم ضل عنها إلى طريق آخر غير موصل.

[٢] أي / أقبلوا.

[٣] من بعدي / أي من ورائي.

[٤] أي / أحدثوا في الدين ما ليس منه.

[٥] رواه أحمد وأسناده جيد (الفتح الرباني ١٩٧ / ١).

[٦] الإصابة ٤٦٠ / ٤.

[٧] المصدر السابق ٤٦٠ / ٤.

[٨] رواه الحاكم (المستدرك ١٩ / ٤).

[٩] الإستيعاب ٤٢٢ / ٤.

٧ - السيدة زينب بنت جحش

زواجها:

هي: زينب بنت جحش بن رياب بن يعمر بن حبرة بن مرة بن أسد بن خزيمة، وأمها: أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي. عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخرج ابن سعد عن عمر بن عثمان عن أبيه قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة. وكانت زينب بنت جحش ممن هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على زيد بن حارثة. فقالت: يا رسول الله لا أرضاه لنفسي وأنا أيم قريش قال: فإني قد رضيته لك. فتزوجها زيد بن حارثة [١].

وروي أن زيداً كان يقال له زيد بن محمد، وكان أهل الجاهلية يعتقدون أن الذي يتبنى غيره يصير ابنه بحيث يتوارثان إلى غير ذلك، فلما نزل قوله تعالى: ﴿أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾ وقوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ الآية. وزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم بزينب بنت جحش انتفى ما كانوا يعتقدونه فى الجاهلية، وعلاوة على ذلك

[١] الطبقات الكبرى ١٠١ / ٧.

امتحن الله تعالى المسلمين فى هذه الآونة بهذا الزواج. فأما الذين آمنوا فقد علموا أن وراء هذا التشريع حكمة. وأما المنافقين فقالوا حرم محمد الولد وقد تزوج امرأة ابنه. إلى غير ذلك.

وقصة الزواج أشار إليها قول الله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم. ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً. وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه. وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه. فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً. وكان أمر الله مفعولاً ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له. سنة الله فى الذين خلوا من قبل. وكان أمر الله قدراً مقدورا. الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً. ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين. وكان الله بكل شئ عليماً﴾[١].

قال صاحب الميزان: المراد بهذا الذي أنعم الله عليه. وأنعم النبى عليه. زيد بن حارثة. الذي كان عبداً للنبى صلى الله عليه وسلم ثم حرره واتخذه ابناً له. وكان تحته زينب بنت جحش. أتى زيد النبى فاستشاره فى طلاق زينب. فنهاه النبى صلى الله عليه وسلم عن الطلاق. ثم طلقها زيد فتزوجها النبى صلى الله عليه وآله وسلم. ونزلت الآيات. فقوله: ﴿أنعم الله عليه﴾ أي بالهداية إلى الإيمان وتحبيبه إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقوله: ﴿وأنعمت عليه﴾ أي بالإحسان إليه وتحريره وتخصيصه بنفسك، وقوله: (أمسك عليك زوجك واتق الله) كناية عن الكف عن تطليقها. ولا تخلو من إشعار بإصرار زيد على تطليقها وقوله: ﴿وتخفى

---

[١] سورة الأحزاب آية ٣٧ – ٤١.

فى نفسك ما الله مبديه﴾ أي مظهره ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ ذيل الآيات. أعنى قوله: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ولا يخشون أحداً إلا الله﴾ دليل على أن خشيته صلى الله عليه وسلم الناس. لم تكن خشية على نفسه. بل كانت خشية فى الله. فأخفى فى نفسه ما أخفاه. استشعاراً منه أنه لو أظهره، عابه الناس وطعن فيه بعض من فى قلبه مرض، فأثر ذلك أثراً سيئاً فى إيمان العامة، وهذا الخوف - كما ترى - ليس خوفاً مذموماً. بل خوف فى الله. وهو فى الحقيقة خوف من الله سبحانه.

فقوله: ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ الظاهر فى نوع من العتاب. ردع عن نوع من خشية الله. وهى خشية عن طريق الناس وهداية إلى نوع آخر من خشيته تعالى، وأنه كان من الحري أن يخشى الله دون الناس. ولا يخفى ما فى نفسه ما الله مبديه. وهذا نعم الشاهد على أن الله كان قد فرض له أن يتزوج زوج زيد الذي كان تبناه، ليرتفع بذلك الحرج عن المؤمنين فى التزوج بأزواج الأدعياء. وهو صلى الله عليه وآله وسلم كان يخفيه فى نفسه إلى حين. مخافة سوء أثره فى الناس، فأمنه الله ذلك بعتابه عليه. نظير ما تقدم فى قوله تعالى: ﴿يا أيها النبى بلغ ما أنزل إليك من ربك - إلى قوله - والله يعصمك من الناس﴾ الآية.

فظاهر العتاب الذي يلوح من قوله: ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ مسوق لانتصاره.. وتأييد أمره. قبال طعن الطاغين ممن فى قلوبهم مرض. نظير ما تقدم فى قوله: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾[١] ومن الدليل على أنه انتصار وتأييد فى صورة العتاب قوله تعالى بعد: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾ حيث أخبر عن تزويجه إياها. كأنه أمر خارج عن إرادة النبى صلى الله عليه وآله وسلم واختياره ثم قوله: ﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾.

---

[١] سورة التوبة آية ٤٣.

فقوله: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾ متفرع على ما تقدم من قوله: ﴿وتخفى فى نفسك ما الله مبديه﴾ وقضاء الوطر منها كناية عن الدخول والتمتع، وقوله: ﴿لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم لما قضوا منهن وطراً﴾ تعليل للتزويج ومصلحة للحكم. وقوله: ﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾ مشير إلى تحقيق الوقوع وتأكيد للحكم.

ومن ذلك يظن أن الذي كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يخفيه فى نفسه. هو ما فرض الله له أن يتزوجها. لا هواها وحبه الشديد لها وهى بعد متزوجة. كما ذكر جمع من المفسرين. واعتذروا عنه بأنها حالة جبلية لا يكاد يسلم منها البشر، فإن فيه أولاً: منع أن يكون بحيث لا يقوى عليه التربية الإلهية، وثانياً: أنه لا معنى حينئذ للعتاب على كتمانه وإخفائه فى نفسه فلا مجوز فى الإسلام لذكر حلائل الناس والتشبيب بهن.

وقوله تعالى: ﴿ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له﴾ المعنى: ما كان على النبى من منع فيما عين الله له. أو أباح الله له. حتى يكون عليه حرج فى ذلك [1].

وقال فى الميزان: وفى العيون فى باب مجلس الإمام الرضا عند المأمون مع أصحاب الملل فى حديث يجيب فيه عن مسألة على بن الجهم فى عصمة الأنبياء قال:

وأما محمد صلى الله عليه وآله وقول الله عز وجل: ﴿وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ فإن الله عز وجل عرف نبيه صلى الله عليه وسلم أسماء أزواجه فى الدنيا وأسماء أزواجه فى الآخرة. وأنهن أمهات المؤمنين. وأحد من سمى له زينب بنت جحش.
وهى يومئذ تحت زيد بن حارثة. فأخفى صلى الله عليه وآله وسلم اسمها

---

[1] تفسير الميزان ٣٢٢ / ١٦.

فى نفسه ولم يبده، لكيلا يقول أحد من المنافقين: إنه قال فى امرأة فى بيت رجل أنها أحد أزواجه من أمهات المؤمنين. وخشى صلى الله عليه وآله وسلم قول المنافقين. قال تعالى: ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ يعنى فى نفسك الحديث.

وروي ما يقرب منه فى المجمع فى قوله: ﴿وتخفى فى نفسك ما الله مبديه﴾ قيل: إن الذي أخفاه فى نفسه هو أن الله سبحانه أعلمه أنها ستكون من أزواجه. وأن زيداً سيطلقها. فلما جاء زيد وقال له: أريد أن أطلق زينب. قال له: أمسك عليك زوجك. فقال الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك [١].

مناقبها:

فى الروايات. ما أولم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على امرأة من نسائه ما أولم على زينب. ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم.
وفى الروايات أنها كانت تفتخر على سائر النساء بثلاث: أن جدها وجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم واحد. فإنها كانت بنت أميمة بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وأن الذي زوجها منه هو الله سبحانه وتعالى، وأن السفير جبريل عليه السلام.

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال: لما أخبرت زينب بتزويج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها. سجدت [٢] وقال المسعودي:
وكان تزويجه صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش سنة خمس من الهجرة. وروي عن أم سلمة أن زينب كان بينها وبين عائشة ما يكون

---

[١] المصدر السابق ٣٢٦ / ١٦.

[٢] الطبقات الكبرى ١٠٢ / ٧.

فقالت زينب: إنى والله ما أنا كأحد من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم. إنهن زوجهن بالمهور وزوجهن الأولياء، وزوجنى الله رسوله وأنزل فى الكتاب يقرأ به المسلمون لا يبدل ولا يغير ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾ الآية وقالت أم سلمة: وكانت لرسول الله معجبة وكان يستكثر منها. وكانت امرأة صالحة صوامة قوامة صنعا. تتصدق بذلك كله على المساكين [١].

وروي عن عاصم الأحول. أن رجلاً من بنى أسد فاخر رجلاً. فقال الأسدي: هل منكم امرأة زوجها الله من فوق سبع سماوات؟ يعنى زينب بنت جحش [٢].

وأخرج ابن سعد عن عائشة قالت: قال النبى صلى الله عليه وسلم لأزواجه. يتبعنى أطولكن يداً. قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا فى بيت إحدانا بعد النبى صلى الله عليه وسلم. نمد أيدينا فى الجدار نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش. وكانت امرأة قصيرة. ولم تكن أطولنا فعرفنا حينئذ أن النبى صلى الله عليه وسلم. إنما أراد بطول اليد الصدقة. قالت: وكانت زينب امرأة صناع اليد. فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق فى سبيل الله [٣].

وأخرج ابن سعد عن عمر بن عثمان عن أبيه: ما تركت زينب بنت جحش درهماً ولا ديناراً. كانت تتصدق بكل ما قدرت عليه. وكانت مأوى المساكين. وتركت منزلها فباعوه من الوليد بن عبد الملك حين هدم المسجد بخمسين ألف درهم [٤] وروي عن محمد بن كعب قال: كان عطاء

---

[١] المصدر السابق ١٠٣ / ٧.

[٢] المصدر السابق ١٠٣ / ٧.

[٣] المصدر السابق ١٠٨ / ٧، رواه الشيخان باختصار.

[٤] المصدر السابق ١١٤ / ٧.

زينب بنت جحش اثنى عشر ألفاً لم تأخذه إلا عاماً واحداً فجعلت تقول: اللهم لا يدركنى هذا المال من قابل. فإنه فتنة ثم قسمته فى أهل رحمها وفى أهل الحاجة [١].

وفاتها رضى الله عنها:

توفيت زينب بنت جحش فى خلافة عمر بن الخطاب سنة عشرين وهى بنت خمسين. وقيل إنها عاشت ثلاثاً وخمسين [٢] وروي أن عمر بن الخطاب أراد أن يدخل القبر فأرسل إلى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فقلن: إنه لا يحل لك أن تدخل القبر. وإنما يدخل القبر من كان يحل له أن ينظر إليها وهى حية [٣] وحفر لها بالبقيع عند دار عقيل فيما بين دار عقيل ودار ابن الحنفية. ونقل اللبن من السمينة فوضع عند القبر. وكان يوماً صائفاً [٤].

---

[١] الإصابة ٣١٤ / ٤، الطبقات ١١٠ / ٧.

[٢] الإصابة ٣١٤ / ٤، الطبقات ١١٥ / ٧.

[٣] الطبقات ١١١ / ٧.

[٤] المصدر السابق ١٠٩ / ٧.

٨ ـ السيدة أم حبيبة بخت أبي سفيان

نظرات فى الطريق إلى بلاد الحبشة:

هى: رملة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، وأمها: صفية بنت أبى العاص بن أمية بن عبد شمس، تزوجها عبيد الله بن جحش فولدت له حبيبة فكنيت بها.

إن الباحث فى تاريخ الأمم السالفة. يجد أن هلاك هذه الأمم يعود سببه إلى شركهم بالله. والإعراض عن آياته. والاستكبار فى مقابل الحق.

وتكذيب الرسل. فإلى هذه الأسباب تعود المعيشة الضنك والهلاك والاستئصال من عصر نوح عليه السلام إلى قيام الساعة. والله تعالى لم يهلك أمة إلا بعد الإنذار وإتمام الحجة.

وعندما بعث الله تعالى نبيه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم. تكاتف وعاء الكفر والشرك والاستعباد والاستكبار والتفاخر. والتكذيب والجهل والسخرية والظلم والطاغوت إلى آخر التفريعات الشيطانية. تكاتف أصحاب النفوس المريضة على امتداد مسيرة الأمة ووضعوا العوائق أمام الدعوة حتى لا تسوق الناس إلى سعادة الدنيا وآخرة. كان النظام الشيطانى بالمرصاد لكل من يحمل معالم الاتحاد والإخلاص والأدب والاستقامة والتطهير والتعقل والإحساس والتقوى والتوسل والجهاد والحلال والحمد

إلى آخر ذلك من تفريعات الصراط المستقيم.

وفى عهد البعثة استهزأ الكفار بالمبعوث صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن الكفار أهلاً لسماع الحق وتعقله. نظراً لما فى صدورهم من استكبار وكان طابور الشرك يتمسك بالأصنام وفى هذا دليل على عدم معرفتهم بمقام الله تعالى وخروجهم عن الفطرة التى فطر الله تعالى الناس عليها. وكان لازم ذلك أن يتعقلوا وينصتوا للحق الذي بعث به النبى صلى الله عليه وآله وسلم. لكنهم مكروا بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وغضبوا من انتشار الإسلام واضطهدوا المستضعفين من الذين آمنوا وأخرجوا وقاتلوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم والذين معه. وبالجملة: فقد المشركون استعداد الإيمان لإعراضهم عن اتباع الرسول وذكر الله.

وفى عهد البعثة الخاتمة صد الذين كفروا من أهل الكتاب عن سبيل الله. والطائفتان من أهل الكتاب - اليهود والنصارى - يرجعان إلى أصل واحد. وهذا الأصل يحمل فيما يحمل صفات النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم. لكن الذين كفروا منهم تعاموا عن ما بين أيديهم. وطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينزل إليهم كتاباً من السماء. ولقد سعى اليهود ضد المسلمين وأشعلوا الفتنة ضد الإسلام فلم يؤثر ذلك لأن الله تعالى الذي بيده عذاب الدنيا من سبى وشتات وضرب للذلة والمسكنة وغير ذلك. بيده أيضاً النصر وتوريث الأرض لعباده الصالحين إلى غير ذلك.

أما النصارى فلقد وقفوا تحت لافتات وهم لا يعلمون معنى واحداً من العناوين التى تحملها اللافتة. لقد قالوا إن المسيح (إله) و (إنسان) أيضاً، وقالوا بعقيدة التثليث التى لم تذكر التوراة عنها شيئاً. ويعلم الباحث فى هذا الباب. أن مصادر هذه العقيدة مصادر وثنية. ولا يستطيع باحث أن يرد القول بأن عقيدة التثليث والفداء والصليب من عقائد الهنود.

وأن هذه العقيدة كانت شائعة بين عبدة الأصنام القدامى. وإن العبادة على طريق هذه العقيدة تتنافى مع تعليمات المسيح نفسه.

وبالجملة: كان أبو سفيان بن حرب فى زمن البعثة يحمل فى يده لواء الكفر والشرك والاستكبار فى مقابل الحق. ولم يترك طريقاً يقود صاحبه إلى الإيمان بالله ورسوله إلا ووضع عليه العوائق، وكان اليهود يتحصنون فى قرى داخل الحجاز. يراقبون ويوسوسون ابتغاء الفتنة وابتغاء إشعال نار الحرب. وكان النصارى فى الحجاز وخارجه عاكفين على عقيدة لم يكن المسيح مسؤولاً عنها. وكان بين أهل الكتاب من يبحث عن الحقيقة. وهؤلاء لم تخلوا منهم صحراء الحجاز وما حولها. وكانوا فى بلاد الحبشة وبلاد مصر نظراً لأن الكنيسة الأثيوبية والكنيسة المصرية يقفان على أرضية واحدة وتحت ظل واحد. بمعنى: إن نجاشى الحبشة إذا تأثر بشئ. وجدت أثر ذلك فى مقوقس مصر.

والخلاصة: لما كان أبو سفيان عضواً أصيلاً فى طابور الصد عن سبيل الله. فإن النجاشى كان عضواً أصيلاً فى قافلة البحث عن الحقيقة.
وبين ما يمثله أبو سفيان وبين ما يمثله النجاشى. دارت قصة أم حبيبة بنت أبى سفيان.

أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة يخاف على أصحابه من المشركين، فبعث جعفر بن أبى طالب وابن مسعود وعثمان بن مظعون فى رهط من أصحابه إلى النجاشى ملك الحبشة، فلما بلغ المشركين. بعثوا عمرو بن العاص فى رهط منهم. فذكروا إنهم سبقوا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى، وقالوا: إنه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش وأحلامهم، زعم أنه نبى، وأنه بعث إليك رهطاً ليفسدوا عليك قومك. فأحببنا أن نأتيك ونخبرك خبرهم. قال: إن جاؤونى نظرت فيما

يقولون، فلما قدم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فأتوا إلى باب النجاشى. فقالوا: أستأذن لأولياء الله، فقال: أئذن لهم فمرحبا بأولياء الله، فلما دخلوا عليه سلموا، فقال الرهط من المشركين: ألم تر أيها الملك أنا صدقناك، وإنهم لم يحيوك بتحيتك التى تحيا بها؟ فقال لهم: ما يمنعكم أن تحيونى بتحيتى؟ قالوا: إنا حييناك بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة. فقال لهم: ما يقول صاحبكم فى عيسى وأمه؟ قالوا: يقول:

عبد الله ورسوله وكلمة من الله وروح منه ألقاها إلى مريم، ويقول فى مريم: إنها العذراء الطيبة البتول. فأخذ النجاشى عوداً من الأرض وقال:

ما زاد عيسى وأمه على ما قال صاحبكم هذا العود، فكره المشركون قوله وتغير له وجوههم. فقال: هل تقرؤن شيئاً مما أنزل عليكم؟ قالوا: نعم، قال: فاقرؤوا، فقرؤوا وحوله القسيسون والرهبان. فجعلت طائفة من القسيسين والرهبان. كلما قرأوا آية انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق.

وهو قوله تعالى ﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون. وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾ [١].

وروي أن النجاشى بكى وأسلم. وأسلم معه خاصته. وروي أنه خرج من بلاد الحبشة إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلما عبر البحر توفى. وروي عن سعيد بن جبير: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفرا فى سبعين راكباً إلى النجاشى يدعوه. فقدم عليه ودعاه فاستجاب له وآمن به، فلما كان عند انصرافه. قال ناس ممن آمن به من أهل مملكته وهم أربعون رجلاً: أئذن لنا فنأتى هذا النبى فنسلم به، فقدموا مع جعفر، فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة. استأذنوا رسول الله صلى الله عليه

---

[١] سورة المائدة آية ٨٢

وسلم وقالوا: يا نبى الله إن لنا أموالاً ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة. فإن أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها، فأذن لهم، فانصرفوا، فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين. فأنزل الله تعالى فيهم ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين. أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة. ومما رزقناهم ينفقون. وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين﴾[1] فكانت النفقة. التى واسوا بها المسلمين، فلما سمع أهل الكتاب مس لم يؤمن بالله ورسوله. قوله تعالى ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ فخروا على المسلمين. فقالوا: يا معشر المسلمين. أما من آمن منا بكتابنا وكتابكم فله أجران. ومن آمن منا بكتابنا فله أجر كأجوركم. فما فضلكم علينا؟ فنزل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به. ويغفر لكم والله غفور رحيم. لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شئ من فضل الله﴾ [2] فجعل لهم أجرين. وزادهم النور والمغفرة.

ثم قال ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ [3].

وبالجملة: واجهت الدعوة الاضطهاد من قريش ومن معهم من القبائل فى جزيرة العرب. وواجهت فتنة التأويل التى سهر على إشعالها صناديد قريش. وحمل وقودها أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

[1] سورة القصص آية ٥٣.

[2] سورة الحديد آية ٢٨.

[3] تفسير الميزان ١٧٦ / ١٩.

زواجها:

كان أهل الكتاب قد رفعوا لافتة تحمل كل معاني الفتن. وقالوا: يا معشر المسلمين أما من آمن منا بكتابنا وكتابكم فله أجران. ومن آمن منا بكتابنا فله أجر كأجوركم. فما فضلكم علينا؟ وانطلقت هذه الفتنة حتى استقرت في الجزيرة وما حولها وفي الحبشة وغيرها. ورد الله كيدهم إلى نحورهم وأنزل آيات بينات وأخبر على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم. أن الإيمان بالرسالة الخاتمة شرط لنيل رضا الله تعالى.

وروي أن عبيد الله بن جحش زوج أم حبيبة لم يستمع ولم ينصت لصوت الحجة الدامغة. وسلك في الفتنة التي تصد عن سبيل الله. فعن أم حبيبة قالت: رأيت في المنام كأن عبيد الله بن جحش زوجي بأسوء صورة وأشوهه. ففزعت فقلت: تغيرت والله حاله. فإذا هو يقول حين أصبح: يا أم حبيبة إني نظرت في الدين فلم أر ديناً خيراً من النصرانية. وكنت قد دنت بها. ثم دخلت في دين محمد. ثم رجعت إلى النصرانية. فقلت:

والله ما خير لك. وأخبرته بالرؤيا التي رأيت له. فلم يحفل بها وأكب على الخمر حتى مات. فرأيت في النوم كأن آتياً يقول لي: يا أم المؤمنين.

ففزعت وأولتها إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجني. قالت: فما هو إلا أن أنقضت عدتي. فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن. فإذا جارية له يقال لها (أبرهة) كانت تقوم على ثيابه ودهنه.

فدخلت علي. فقالت: إن الملك يقول لك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلي أن أزوجك. فقلت: بشرك الله بخير. وقالت: يقول لك الملك وكلي من يزوجك. فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته.

وأعطت أبرهة سوارين من فضة وخدمتين كانتا في رجليها وخواتيم فضة كانت في أصابع رجليها سروراً بما بشرتها به. فلما كان العشى أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا. فخطب

النجاشي. فقال: الحمد لله. الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار. الحمد لله حق حمده وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام. أما بعد: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلي أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان. فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد أصدقها أربعمائة دينار. ثم سكب الدنانير بين يدي القوم. فتكلم خالد بن سعيد. فقال: الحمد لله. أحمده وأستعينه وأستنصره وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد إن محمداً رسوله. أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. أما بعد: فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وزوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان.

فبارك الله لرسوله. ودفع الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ثم أرادوا أن يقوموا. فقال: أجلسوا فإن سنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا تزوجوا أن يؤكل الطعام على التزويج. فدعا بطعام. فأكلوا ثم تفرقوا. قالت أم حبيبة: فلما وصل إلى المال. أرسلت إلى أبرهة التى بشرتنى. فقلت لها:

إنى كنت أعطيتك ما أعطيتك يومئذ ولا مال بيدي. وهذه خمسون مثقالاً فخذيها فاستعينى بها. فأخرجت إلى حقة فيها جميع ما أعطيتها فردته إلى. وقالت: عزم على الملك أن لا أرزأك شيئاً. وأنا التى أقوم على ثيابه ودهنه. وقد ابتعت دين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأسلمت لله.

وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر. فلما كان الغد جاءتنى بعود وورس وعنبر كثير. وقدمت بذلك كله على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان يراه على وعندي فلا ينكر. ثم قالت أبرهة:

فحاجتى إليك أن تقرئى رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام.

وتعلميه إنى قد أتبعت دينه. قالت: ثم لطفت بى. وكانت هى التى جهزتنى. وكانت كلما دخلت على تقول: لا تنسى حاجتى إليك. قالت:

فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. أخبرته كيف كانت

الخطبة. وما فعلت بى أبرهة. فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وأقرأته منها السلام. فقال: وعليها السلام ورحمة الله وبركاته [1].

وعن عبد الواحد بن عون قال: لما بلغ أبا سفيان بن حرب نكاح النبى صلى الله عليه وآله وسلم ابنته قال: ذاك الفحل لا يقرع أنفه [2].

وبالجملة: بعثت قريش البعوث إلى الحبشة للصد عن سبيل الله. وحمل الذين كفروا من أهل الكتاب الفتن التى تعوق تقدم الدعوة. وتكاتف هؤلاء مع هؤلاء. ولا ندري هل كان عبيد الله بن جحش زوج أم حبيبة حلقة فى هذه الدوامة التى تشكك فى دين الله وتعبئ الصدور بالحق على الذين آمنوا. وهل كان أبو سفيان يجهز لثقافة تتفق مع ثقافة التشكيك التى قام بها أهل الكتاب. مستنداً على ما قام به عبيد الله بن جحش. وهل كان فى جعبة أبى سفيان بعض قصص التشكيك فى دين الله وكان يعد العدة لنشرها حول أم حبيبة بعد ارتداد زوجها؟ وعلى أي حال فلقد رد الله كيد أعداء الدين إلى نحورهم. وكان زواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأم حبيبة سكن لها وتطييب لخاطرها. وكان فيه إغلاقاً لأبواب الفتن. وكان فيه ضربة قوية لأصحاب العقول الماكرة والصدور الحاسدة.

وفاتها:

قال أبو عمر: توفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين. وعن على بن الحسين قال: قدمت منزلى فى دار على بن أبى طالب عليه السلام. فحفرنا فى ناحية منه. فأخرجنا منه حجراً. فإذا فيه مكتوب: هذا قبر رملة بنت صخر. فأعدناه مكانه [3].

---

[1] رواه الحاكم (المستدرك ٢١ / ٤)، الإستيعاب ٤٤١ / ٤، الإصابة ٣٠٥ / ٤، الطبقات الكبرى ٩٧ / ٧.

[2] رواه الحاكم (المستدرك ٢٢ / ٤).

[3] الإستيعاب ٣٠٦ / ٤.

٩ - السيدة جويرية بنت الحارث

نظرات فى منطلقات الدعوة:

هي: جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن مالك بن جزيمة، وجزيمة هو المصطلق من خزاعة. تزوجها مسافع بن صفوان. فقتل يوم المريسيع [١].

بعث الله تعالى رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم بالإسلام. وكليات هذا الدين موجودة فى فطرة الإنسان. لهذا كانت الفطرة حجة بذاتها على الإنسان. لأن ينبوع دين الله فطرة الإنسان نفسه. والفطرة لا تتبدل أبداً لأنها من شهود الله يوم القيامة. وإنما يخطئ الإنسان فى استعمالها. وعندما يتراكم الخطأ يفتقر الإنسان إلى الفطرة السليمة. ولازم ذلك عدم تعادل قواه الحسية الداخلية. ويستوجب ذلك اتباع الإنسان للواقع الذي يجده فى الخارج. بمعنى: يتبع العقيدة التى تحقق له مطامعه وأهوائه وشهواته. ومن هنا أقام الله تعالى حجته على خلقه ببعث الأنبياء والرسل ومعهم الشريعة التى ترفع هذه الأثقال عن الناس وتسوقهم إلى صراط الله العزيز الحميد، والشريعة الإسلامية بصائر للناس يميزون بها أي

---

[١] الطبقات الكبرى ١١٦ / ٧.

الطرق يسلكونها لتؤدي بهم إلى الحياة الطيبة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة. والباحث المنصف لا يمكن أن يقر قول البعض: إن الإسلام دين السيف. فكيف يقوم دين شعاره الاجتماعى هو اتباع الحق فى الفكر والعمل على السيف والدماء وفرض الجهل والتخلف على العباد.

إن الله تعالى جهز الإنسان بقوة الغضب والشدة والقوة الفكرية التى تستخدم فى مواقع الدفاع والدفاع حق مشروع ولقد دعا القرآن بإعداد العدة الدفاعية. والإسلام فى جميع معاركه التى خاضها النبى صلى الله عليه وآله وسلم. كان ينطلق من دائرة الدفاع. ولقد أمر الله تعالى بالتجهيزات الحربية. وأمر تعالى بالحرب. وبين أمور أوجب الله تعالى رعايتها فى الحروب الإسلامية حينما يواجه المسلمون جيش العدو.

وبالجملة: الدين الخاتم طريقة خاصة فى الحياة. تؤمن صلاح الدنيا بما يوافق الكمال الأخروي الحياة الدائمة الحقيقية. وهذا الدين ليس إجبارياً. وعدم الإكراه فى الدين أصيل فى الكون. والدعوة الخاتمة أعلنت أن لا إكراه ولا إجبار من أحد لغيره على الدخول فى دين الله. لأنه قد تبين الرشد من الغى. فمن كفر بعد هذا الإعلان فليتحمل نتيجة كفره.
وأعلنت الدعوة أن من يكفر بكل معبود سوى الله تعالى ويخلع الأنداد والأوثان ويؤمن بالله إيماناً حقاً. فقد ثبت أمره واستقام مع الطريقة المثلى التى لا انقطاع لها. وأمسك من الدين بأقوى سبب وأحكم رباط. وأمام إعلان الدعوة الخاتمة تكاتفت قوى الطاغوت لفرض عبادة الأنداد والأوثان على عباد الله. متخذين كل وسيلة لتحقيق هذا الهدف.

ومؤسسات الصد عن سبيل الله. بدأت تمارس أعمالها منذ بعث الله تعالى رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ومن مشاهير الأحداث بعد بعث الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم. اضطهاد المشركين للذين آمنوا. ثم إخراجهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم من مكة. والهجرة أبلغ

دليل على أن الإسلام لم يقف يوماً على أرضية المعتدي. وبعد الهجرة تكاتفت قريش لاستئصال المسلمين. فكانت غزوة بدر فى السنة الثانية من الهجرة. ثم غزوة أحد فى السنة الثالثة، وفى السنة الرابعة من الهجرة نشطت أجهزة ومؤسسات الصد عن سبيل الله. فكانت أكثر من غزوة منها الغزوة المعروفة بذات الرقاع. وغزوته صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليهود من بنى النضير. وغزوته إلى بنى المصطلق. وفى هذه الغزوة تم سبى جويرية بنت الحارث سيد هذا البطن من خزاعة. وكان زواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم من جويرية بنت الحارث. أحد الأسباب الرئيسية التى قصمت ظهر جبهة الحرب التى كان أبو سفيان يعتمد عليها للصد عن سبيل الله. كما سيأتى. وفى السنة الخامسة كانت غزوة الخندق وغزوة اليهود من بنى قريظة، وفى السنة السادسة كان صلح الحديبية الذي جاء على خلفية تصدع جبهة أبو سفيان بعد الغزوة إلى بنى المصطلق، وبعد هذا التصدع وجه النبى صلى الله عليه وآله وسلم الرسل إلى كسرى وهرقل، وفى السنة السابعة كانت غزوة خيبر. وفيها جاء وفد المقوقس ومعه مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغير ذلك من هدايا المقوقس إليه. وفيها أيضاً كان قدوم جعفر بن أبى طالب من أرض الحبشة. ومعه أولاده وزوجته وغيرهم من المسلمين مس كان بأرض الحبشة، وفى السنة الثامنة استشهد جعفر بن أبى طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بأرض مؤتة من أرض البلقاء من أرض الشام وأعمال دمشق فى وقعتهم مع الروم، وفى سنة ثمان من الهجرة كان افتتاح النبى صلى الله عليه وآله وسلم مكة. وفيها أيضاً كانت غزوة حنين وغزوة الطائف. وفى سنة تسع حج أبو بكر بالناس. وقرأ على بن أبى طالب عليهم سورة براءة وأمر ألا يحج مشرك. وأنه لا يطوف بالبيت عريان، وفى سنة عشر حج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع، وفى سنة إحدى عشر من الهجرة كانت وفاة النبى الأمى العربى القرشى

الهاشمى المكى المدنى صلى الله عليه وآله وسلم [1].

والباحث المنصف إذا تدبر فى أسباب هذه الغزوات وغيرها فى أصول أهل التواريخ والسير. لا يسعه إلا أن يقر بأن قتال الإسلام انطلق من دائرة الدفاع فى المقام الأول. وإن هذا القتال كان حجة على البعض وامتحان وابتلاء للبعض الآخر، وبين دائرة الحجة ودائرة الامتحان والابتلاء فاز الشهداء الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

زواجها:

وإذا تدبرنا فى الأحداث. وجدنا أن زواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم بجويرية بنت الحارث. قد حقق نتائج لا يحققها إلا جيش كامل العدد والعدة. ذكر ابن كثير: أن بنى المصطلق كانوا أكبر بطون خزاعة.
وكانوا حلفاء لأبى سفيان بن حرب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وكانوا ذو تأثير كبير على من حولهم من القبائل [2] وكان زواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم من جويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق من الأسباب الرئيسية لتصدع جبهة أبى سفيان بن حرب.

ولقد كان بنو المصطلق ضمن نسيج الصد عن سبيل الله. روى الطبري: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى المصطلق يجتمعون له. وقائدهم الحارث بن ضرار أبو جويرية بنت الحارث. فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقول له: المريسيع. من ناحية قديد إلى الساحل. فتزاحف الناس واقتتلوا قتالاً شديداً. فهزم الله بنى المصطلق. وقتل من قتل منهم. ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم. فأفاءهم الله

---

[1] أنظر / مروج الذهب / المسعودي ٣٠٥ / ٢.

[2] البداية والنهاية ٢٩٥ / ٥.

عليه. وروى الطبري: أصيب من بنى المصطلق يومئذ ناس كثير. وقتل على بن أبى طالب منهم رجلين: مالكاً وابنه. وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث [1].

وذكر ابن هشام فى السيرة: لما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث. دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة. وأمره بالاحتفاظ بها. وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء. فرغب فى بعيرين منها. فغيبهما فى شعب من شعاب العقيق. ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم. فقال: يا محمد. أصبتم ابنتى وهذا فداؤها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأين البعيرين اللذين غيبت بالعقيق فى شعب كذا وكذا؟ فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فوالله ما أطلع على ذلك إلا الله تعالى. فأسلم الحارث. وأسلم معه ابنان وناس من قومه. وأرسل إلى البعيرين فجاء بهما. فدفع الإبل إلى النبى صلى الله عليه وسلم، ودفعت إليه ابنته جويرية. فأسلمت. وخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها فزوجه إياها [2].

وروى الحاكم عن عبد الله بن أبى الأبيض مولى جويرية عن أبيه قال: سبى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى المصطلق فوقعت جويرية فى السبى. فجاء أبوها فافتداها وأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم [3].

وروي أن خبر زواج النبي صلى الله عليه وآله ذاع بين الناس. فأرسل

---

[1] تاريخ الأمم والملوك ٦٥ / ٣.

[2] سيرة ابن هشام ٢٤٦ / ٤.

[3] رواه الحاكم (المستدرك ٢٧ / ٤).

المسلمين ما بأيديهم وأعتقوا نحو مائة أهل بيت من بني المصطلق.
وقالوا: أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم [١]. وروي عن عائشة قالت: فما نعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها [٢].

وبالجملة: كان زواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقدمة ترتب عليها إرسال المسلمين ما في أيديهم من سبايا بني المصطلق. وقولهم:
أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعلى هذه الخلفية انتقل بنو المصطلق من خندق أعداء الدعوة إلى خندق حماية الدعوة. وبدؤوا يمارسون تأثيرهم على القبائل من حولهم ويؤمنون حركة الذين آمنوا وتجارتهم بين القبائل.

وبعد غزوة بني المصطلق تصدعت الجبهة السفيانية. وترتب على هذا التصدع صلح الحديبية. وعلى خلفيته انطلقت الدعوة برسائل النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى كسرى وقيصر. ثم اكتملت الثمار بفتح مكة.

لقد كان هتاف المؤمنين يوم غزوة بني المصطلق: أصهار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وكان هتاف بني المصطلق يوم الحديبية: نحن في عقد محمد وعهده [٣]. ويمكن القول. إن زواج النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان في أول العام السادس الهجري. كان ضربة قوية وجهت إلى ما يدور في عقل الجبهة السفيانية من إثارة الفتن والتشكيك في الدين من تحت لافتة نصرانية وقع في حبائلها عبيد الله بن جحش زوج أم حبيبة بالحبشة. وكان زواجه صلى الله عليه وسلم من

---

[١] الإستيعاب ٢٦٠ / ٤، ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (الزوائد ٢٥٠ / ٩).
[٢] رواه الحاكم (المستدرك ٢٧ / ٤).
[٣] تفسير الميزان ٢٦٨ / ١٨.

جويرية بنت الحارث آخر العام السادس الهجري. ضربة قوية أخرى أصابت الجبهة السفيانية وتعدتها إلى قبائل أخرى.

وفاتها:

قال أبو عمر: توفيت جويرية سنة ست وخمسين [١]. وروي أنها عاشت خمساً وستين سنة [٢].

---

[١] الإستيعاب ٢٦١ / ٤.

[٢] الإصابة ٢٦٦ / ٤.

١٠ - السيدة صفية بنت حيي

تأملات فى تابوت السكينة:

هى: صفية بنت حيى بن أخطب بن سعية بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبى حبيب بن النضير بن النحام بن ينحوم من بنى إسرائيل من سبط هارون بن عمران عليه السلام، وأمها برة بنت سموأل أخت رفاعة بن سموأل من بنى قريظة إخوة النضير [١].

وقال صاحب الإصابة: هى من سبط لاوى بن يعقوب ثم من ذرية هارون بن عمران أخى موسى عليهما السلام [٢] وقال أبو عمر: صفية بنت حيى من سبط هارون بن عمران عليه السلام [٣]. وذكر ابن كثير فى البداية والنهاية عند ذكره قصة موسى عليه السلام. إن تفسير الشريعة الموسوية كان لهارون وبنيه عليه السلام. وإن الله تعالى جعل هذا الحق لهم لا يشاركهم فيه أحد من بقية أسباط بنى إسرائيل، والتوراة الحاضرة تقول بهذا [٤]. ومفسروا أهل الكتاب يقرون بهذه الحقيقة ولا يختلفون عليها.

وذكرت التوراة الحاضرة. أن الله تعالى حدد لهارون وبنيه رداء

---

[١] الطبقات الكبرى ١٢٠ / ٧..

[٢] الإصابة ٣٤٦ / ٤.

[٣] الإستيعاب ٣٤٦ / ٤.

[٤] سفر اللاويين ٣ / ١٠.

وملابس يلبسونها عند اجتماعهم فى خيمة الاجتماع، وهى المكان الذي كان موسى عليه السلام يتعبد فيه ومنها تخرج تفسير الشريعة لبنى إسرائيل. مما ورد فى ذلك: قال الرب لموسى (تقدم هارون وبنيه إلى باب خيمة الاجتماع، وتغسلهم بماء وتلبس هارون الثياب المقدسة وتمسحه وتقدسه ليكهن لى، وتقدم بنيه وتلبسهم أقمصة وتمسحهم كما مسحت أباهم ليكهنوا لى ويكون ذلك لتصير لهم مسحتهم كهنوتا أبدياً فى أجيالهم) [1]وتذكر التوراة إن موسى عليه السلام فعل ما أمر به الله. ومما ورد فى ذلك (فقدم موسى هارون وبنيه وغسلهم بماء. وجعل عليه القميص. وألبسه الجبة وجعل عليه الرداء... ووضع العمامة على رأسه... ومسحه لتقديسه... ثم قدم موسى بنى هارون وألبسهم أقمصة... كما أمر الرب موسى) [2].

وذكر مفسروا أهل الكتاب. إن المسح على هارون وبنيه يعنى تطهيرهم بحيث لا يكون للشيطان فيهم نصيب، لأن من نسلهم يخرج الأنبياء، ولأن هارون وبنوه لهم وحدهم حق تفسير الشريعة. عصمهم الله من الخطأ وجعلهم إسوة حسنة ليقتدي بهم أسباط بنى إسرائيل. ومما ورد فى التوراة الحاضرة (وكلم الرب هارون قائلاً: خمراً ومسكراً لا تشرب أنت وبنوك معك... للتميز بين المقدس والمحلل وبين النجس والطاهر. ولتعليم بنى إسرائيل جميع الفرائض التى كلم الرب بها بين موسى) [3].

وتذكر التوراة الحاضرة اختلاف بنى إسرائيل من بعد موسى وهارون عليهما السلام. وتفرقهم وانقلابهم على أبناء هارون عليهم السلام وقتل الأنبياء والربانيون منهم على امتداد المسيرة الإسرائيلية [4] ولقد أشار القرآن

---

[1] سفر الخروج ٤٠ / ١١ – ١٥.

[2] سفر اللاويين ٨ / ١ – ١٢.

[3] المصدر السابق. ١٠ / ٨ – ١٠.

[4] أنظر كتابنا / إبتلاءات الأمم. للمؤلف ط دار الهادي بيروت.

الكريم إلى هذا الفساد وأخبر بأنهم اختلفوا وتفرقوا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم.

وعلى امتداد مساحة الافتراق ضاع كثير من الهدى، وبدل وأخفى الأكثر مما ترك آل موسى وآل هارون عليهم السلام، وشاء الله تعالى أن يبعث لهم طالوتاً ملكاً عليهم. لتطوق الحجة أعناق هذه الأجيال المعاندة وكان لطالوت علامات محددة يعرفونه بها. ومنها قوله تعالى ﴿إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة. إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ [١] قال ابن كثير: عن عطية بن سعد قال: فيه عصا موسى وعصا هارون وثياب موسى وثياب هارون ورضاض الألواح [٢].

وبعد ظهور هذه الآيات وغيرها لم تلبث المسيرة الإسرائيلية حتى إختلفت وتفرقت بعد عهد سليمان عليه السلام. وتوارث أنبياء بنى إسرائيل ثياب آل هارون على امتداد المسيرة وكانوا يفسرون الشريعة ويقيمون الحجة على امتداد الأجيال حتى بعث عيسى بن مريم عليهما السلام. وكانت مريم من آل هارون من سبط لاوى. [٣].

وبعد أن رفع الله المسيح بن مريم عليهما السلام. إحتوى اليهود النصارى بواسطة بولس. وعلى هذه الخلفية حمل اليهود بعض من بقية ما ترك آل موسى وآل هارون. وانتهى هذا الأثر إلى حيى بن أخطب الذي كان يتفاخر على اليهود بأنه من ذرية هارون عليه السلام. وكان اليهود فى الحجاز يتباركون بما لديهم من آنية مقدسة تحمل معالم آل موسى وآل هارون.

---

[١] سورة البقرة آية ٢٤٨.

[٢] تفسير ابن كثير ٣٠١ / ١.

[٣] أنظر كتابنا إبتلاءات الأمم.

حركة اليهود تجاه الدعوة الخاتمة

كانت طوائف من اليهود قد هاجرت من بلادها إلى الحجاز وتوطنوا بها وبنوا فيها الحصون والقلاع. وزادت نفوسهم وكثرت أموالهم وعظم أمرهم. وكان فى مقدمة الذين هاجروا كبار الأحبار. وكانت مهمتهم تنحصر فى البشارة بالنبى الخاتم الذي يبعثه الله من أرض الحجاز، وعندما بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم ينصت الذين كفروا من بنى إسرائيل لصوت الحجة الدامغة. وصدوا عن سبيل الله قال تعالى ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا. فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ [1].

ولما هاجر النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ودعاهم إلى الإسلام استنكفوا عن الإيمان به، وكان بالمدينة ثلاثة أبطن من اليهود:
بنى قينقاع، وبنى النضير، وبنى قريظة. وهؤلاء كانوا يقيمون فى قراهم المحصنة. وتفرع من هذه البطون أقوام سكنوا خيبر وفدك ووادي القرى.
وروي أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم صالح اليهود وعاهدهم بكتاب بينه وبينهم. ولكن اليهود لم يحفظوا العهد ونقضوه. وكان هذا مقدمة لغزو النبى صلى الله عليه وآله وسلم لقراهم المحصنة.

وروي أن بنى قينقاع نكثوا العهد فى غزوة بدر. فسار إليهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد بضعة وعشرين يوماً من وقعة بدر. فتحصنوا حصونهم فحاصرهم أشد الحصار فبقوا على ذلك خمسة عشر يوماً. ثم نزلوا على حكم النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى نفوسهم وأموالهم ونسائهم وذراريهم. فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن

---

[1] سورة البقرة آية ٨٩

يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها. فخرجوا إلى أذرعات الشام ومعهم نسائهم وذراريهم. وقبض منهم أموالهم غنيمة الحرب.

أما بنو النضير. فلقد روي أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم خرج إليهم فى نفر من أصحابه بعد أشهر من غزوة بدر وكلمهم أن يعينوه فى دية رجلين قتلهم عمرو بن أمية القمري. فقالوا: نفعل يا أبا القاسم. أجلس هنا حتى نقضى حاجتك. فخلا بعضهم ببعض. فتآمروا بقتله. واختاروا من بينهم عمرو بن جحاش أن يأخذ حجر فيصعد فيلقه على رأس النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويشدخه به. وحذرهم سلام بن مشكم وقال لهم: لا تفعلوا ذلك فوالله يخبرن بما هممتم به. وإنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه.

فجاءه الوحى وأخبره ربه بما هموا به. فقام النبى صلى الله عليه وآله وسلم من مجلسه مسرعاً وتوجه إلى المدينة. وقال لمحمد بن سلمة الأنصاري: إذهب إلى بنى النضير فأخبرهم إن الله عز وجل قد أخبرنى بما هممتم به من الغدر. فإما أن تخرجوا من بلدنا وإما أن تأذنوا لحرب.
فقالوا: نخرج من بلادك.

فبعث إليهم عبد الله بن أبى - وكان رأس النفاق يومئذ وكانوا حلفاؤه - لا تخرجوا وتقيموا وتنابذوا محمداً الحرب. فإنى أنصركم أنا وقومى وحلفائى. فإن خرجتم خرجت معكم وإن قاتلتم قاتلت معكم، فأقاموا وأصلحوا بينهم حصونهم وتهيئوا للقتال. وبعث حيى بن أخطب ملك بنى النضير إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم، إنا لا نخرج فاصنع ما أنت صانع.

فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وكبر وكبر أصحابه.
وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأحاط بحصنهم، وغدر بهم عبد الله بن أبى ولم ينصرهم. ولم ينصرهم حلفائهم من غطفان وبنى

قريظة. وعندما حاصرهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم أشد الحصار.
بعثوا إليه: يا محمد نخرج من بلادك فأعطنا مالنا. فقال: لا ولكن تخرجون ولكم ما حملت الإبل. فلم يقبلوا ذلك. فبقوا أياماً. ثم قالوا:

نخرج ولنا ما حملت الإبل، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: لا ولكن تخرجون ولا يحمل أحد منكم شيئاً. فمن وجدنا معه شيئاً من ذلك قتلناه. فخرجوا على ذلك. وروي عن ابن عباس: كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ، فأعطوه ما أراد منهم، فصالحهم على أن يحقن دمائهم وأن يخرجهم من أرضهم وأوطانهم وأن يسيرهم إلى أذرعات بالشام. وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء. فخرجوا إلى أذرعات بالشام وأريحا إلا أهل بيتين منهم: آل أبى الحقيق، وآل حيى بن أخطب. فإنهم لحقوا بخيبر. ولحقت طائفة منهم بالحيرة [1].

أما بنو قريظة. فقد كانوا على الصلح والسلم حتى وقعت غزوة الخندق. وبداية الغدر صنعها حيى بن أخطب رئيس بنى النضير الذي سمح له أن ينزل بخيبر. وروي أن حيى بن أخطب كان قد ركب إلى مكة.
وحث قريشاً على النبى صلى الله عليه وآله وسلم. وحزب الأحزاب.
وركب إلى بنى قريظة وجاءهم فى ديارهم يوسوس إليهم ويلح عليهم لنقض العهد ومناجزة النبى صلى الله عليه وآله وسلم. وعندما رضوا بما قاله لهم اشترطوا عليه أن يدخل فى حصنهم فيصيبه ما أصابهم فقبل ودخل. فنقضوا العهد ومالوا إلى الأحزاب الذين حاصروا المدينة، ولقد روى كثير من المفسرين غدر بنى قريظة وما حدث يوم الخندق منه ما روي عن محمد بن كعب القرظى وغيره من أصحاب السير. قالوا: كان من حديث الخندق. أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبى الحقيق وحيى بن أخطب فى جماعة من بنى النضير الذين أجلاهم رسول الله صلى الله عليه

[1] تفسير الميزان ٢٠٧ / ١٩.

وآله وسلم. خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقالوا: إنا سنكون معكم عليهم حتى نستأصلهم. فقالت لهم قريش: يا معشر اليهود. إنكم أهل الكتاب الأول.
فديننا خير أم دين محمد؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه. فأنتم أولى بالحق منه. فسر قريشاً ما قالوا. ونشطوا بما دعوهم إليه فأجمعوا لذلك واستعدوا له. وفى هؤلاء أنزل الله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً - إلى قوله تعالى - وكفى بجهنم سعيراً﴾.

ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤوا غطفان فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبروهم إنهم سيكونون عليه وأن قريشاً قد بايعوهم على ذلك. فأجابوهم فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان بن حرب. وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصين فى فزارة، والحارث بن عوف فى بنى مرة، ومسعر بن جبلة الأشجعى فيمن تابعه من الأشجع.

وكتبوا إلى حلفائهم من بنى أسد. فأقبل طليحة فيمن اتبعه من بنى أسد. وكتب قريش إلى رجال من بنى سليم فأقبل أبو الأعور السلمى فيمن أتبعه من بنى سليم مددا لقريش.

فلما علم بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضرب الخندق على المدينة. وكان الذي أشار إليه سلمان الفارسى ولما فرغ رسول الله من الخندق. أقبلت قريش حتى نزلت بين الجرف [1] والغابة فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بنى كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب أحد. وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى

[1] وكان خارج المدينة.

سلع [1] فى ثلاثة آلاف من المسلمين. فضرب هناك عسكره. والخندق بينه وبين القوم [2] وبعد أن نجحت دسائس اليهود وتحركت قريش وغيرهم، روي أن حيى بن أخطب النضيري خرج حتى أتى كعب بن أسيد القرظى صاحب بنى قريظة. وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع كعب صوت ابن أخطب أغلق دونه حصنه. فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه: يا كعب إفتح لى. فقال: ويحك يا حيى. إنك رجل مشؤوم. إنى قد عاهدت محمداً ولست بناقض ما بينى وبينه. ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً. قال: ويحك إفتح لى حمى أكلمك. ففتح له: فقال: ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام [3] جئتك بقريش على قادتها وسادتها. وبغطفان على سادتها وقادتها. قد عاهدونى أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه.

فلم يزل حيى بكعب. يفتل منه فى الذروة والغارب [4] حتى سمح له على أن أعطاه عهداً وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً، أن أدخل معك فى حصنك. حتى يصيبنى ما أصابك. فنقض كعب عهده وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفى غزوة الأحزاب أخزى الله تعالى الذين إجتمعوا على قتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وفى هذه الغزوة قتل على بن أبى طالب عمرو بن عبد ود. فلم يبق بيت من بيوت المشركين إلا قد دخله وهن بقتل عمرو، ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عز بقتل

---

[1] جبل بالمدينة.

[2] تفسير الميزان ٣٠٠ / ١٦.

[3] الطام: البحر العظيم.

[4] الذروة والغارب / أعلى الشئ وأصله. مأخوذ من فتل ذروة البعير المصعب وغاربه. لوضع الخطام في أنفه.

عمرو. وفى هذه الغزوة بعث الله تعالى على أعدائه ريحاً وجنوداً تفعل بهم ما تفعل. فلم يستمسك لهم بناء ولم تثبت لهم نار ولم يطمئن لهم قدر. فرجعوا كيدهم فى نحورهم ولم ينالوا شيئاً مما تعاهدوا وتكاتفوا عليه.

ولما أنصرف النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن الخندق وفرغ من أمر الأحزاب. ووضع عنه اللامة واغتسل واستحم. تبدى له جبريل بوحى من الله يأمره بالمسير إلى بنى قريظة. فوثب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعزم على الناس أن لا يصلوا صلاة العصر حتى يأتوا قريظة. فلبس الناس السلاح. فلم يأتوا بنى قريظة حتى غربت الشمس. واختصم الناس. فقال بعضهم: إن رسول الله عزم علينا أن لا نصلى حتى نأتى قريظة فإنما نحن فى عزمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فليس علينا إثم. وصلى طائفة من الناس احتساباً. وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصلوها حين جاؤوا بنى قريظة احتساباً. فلم يعنف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واحداً من الفريقين.

وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمساً وعشرين ليلة. حتى أجهدهم الحصار. وقذف الله فى قلوبهم الرعب. وكان حيى بن أخطب دخل مع بنى قريظة فى حصنهم حين رجعت قريش وغطفان. فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم. قال رئيسهم كعب بن أسيد: يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثاً فخذوا أيها شئتم. قالوا: ما هى؟ قال: نبايع هذا الرجل ونصدقه. فوالله لقد تبين لكم إنه نبى مرسل وأنه الذي تجدونه فى كتابكم. فتأمنوا على دمائكم وأموالكم ونسائكم. قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره.

قال: فإذا أبيتم على هذا فهلموا فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد رجالاً مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلاً يهمنا حتى يحكم الله

بيننا وبين محمد. فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً يهمنا. وإن نظهر لنجدن النساء والأبناء. فقالوا: نقتل هؤلاء المساكين. فما خير فى العيش بعدهم.

قال: فإن أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت. وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا فعلنا نصيب منهم غرة. فقالوا: نفسد سبتنا؟ ونحدث فيه ما أحدث من كان قبلنا فأصابهم ما قد علمت من المسخ؟ فقال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً [١].

وروي أن بنى قريظة اشتد عليهم الحصار نزلوا على حكم النبى صلى الله عليه وآله وسلم. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين سألوه أن يحكم فيهم رجلاً: اختاروا من شئتم من أصحابى. فاختاروا سعد بن معاذ فرضى بذلك النبى صلى الله عليه وآله وسلم فنزلوا على حكم سعد بن معاذ. فأحضر سعد وكان جريحاً ولما كلم سعد رحمه الله فى أمرهم قال: لقد آن لسعد أن لا يأخذه فى الله لومة لائم. ثم حكم فيهم بقتل الرجال وسبى النساء والذراري وأخذ الأموال. فأجرى عليهم ما حكم به سعد.

وأتى بحيى بن أخطب عدو الله مجموعة يداه إلى عنقه. فلما بصر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أما والله ما لمت نفسى على عداوتك. ولكنه من يخذل الله يخذل. ثم قال: يا أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله. كتاب الله وقدره ملحمة على بنى إسرائيل. ثم جلس فضرب عنقه.

وأخرج كعب بن أسيد مجموعة يداه إلى عنقه. فلما نظر إليه

---

[١] تفسير الميزان ٣٠٢ / ١٦.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له: يا كعب أما نفعك وصية ابن الحواس الحبر الذكى. الذي قدم عليكم من الشام فقال: تركت الخمر والخمير وجئت إلى البؤس والتمور لنبى يبعث. مخرجه بمكة ومهاجرته فى هذه البحيرة. يجتزي بالكسيرات والتميرات، ويركب الحمار العري، فى عينه حمرة. وبين كتفيه خاتم النبوة، يضع سيفه على عاتقه، لا يبالى من لاقى منكم، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر. فقال كعب: قد كان ذلك يا محمد. ولولا أن اليهود يعيرونى أنى جزعت عند القتل لآمنت بك وصدقتك. ولكنى على دين اليهود. عليه أحيا وعليه أموت. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قدموه وأضربوا عنقه. فضربت [١].

فقتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وفيهم أنزل الله عز وجل ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً. وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديراً﴾ [٢].

وبالجملة: قتل حيى بن أخطب الذي ينتهى نسبه إلى هارون عليه السلام. والذي كان يتفاخر على اليهود بهذا النسب. قتل بعد أن ركب طريق الحسد والحقد. كان يعتقد بأن أمير السلام الذي ينتظره اليهود لا بد وأن يأتى من النسل الذي يمثله حيى بن أخطب. ومن أجل الاحتفاظ بهذا الوهم. وضع العقبات أمام الدعوة الخاتمة الذي لم يبعث رسولها وفقاً لأهواء بني إسرائيل.

الطريق إلى الكساء الخيبري

كانت خيبر وقرية فدك من مراكز اليهود بالحجاز. وكانت خيبر

---

[١] تفسير الميزان ٣٠٢ / ١٦.

[٢] سورة الأحزاب آية ٢٧.

الوعاء الذي يجمع أقارب وأصهار حيي بن أخطب الذي ينتهي نسبه إلى هارون عليه السلام. وفي خيبر كانت صفية بنت حيي تحت كنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق. ووراء حصون خيبر كان يوجد الكثير من تراث بني إسرائيل الذي يشهد بنبوة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم.

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم علم أن يهود خيبر يعدون العدة لشحن قبائل العرب عليه فقال صلى الله عليه وآله وسلم: تجهزوا إلى هذه القرية الظالم أهلها. يعني خيبر. فإن الله عز وجل فاتحها عليكم إن شاء الله [1] وعن أبي طلحة قال: صبح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر. وقد أخذوا مساحيهم وغدوا إلى حروثهم. فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الجيش نكصوا مدبرين. فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر. خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين [2].

وروى ابن إسحاق بإسناده إلى أبي مروان الأسلمي عن أبيه عن جده قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إلى خيبر. حتى إذا كنا قريباً منها وأشرفنا عليها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قفوا. فوقف الناس فقال: اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن. ورب الشياطين وما أضللن. إنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها. ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها. أقدموا بسم الله [3].

ووقف اليهود وراء حصونهم. وعن بريدة قال: حاصرنا خيبر. فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له. ثم أخذه من الغد عمر فخرج. فرجع

---

[1] رواه أحمد وقال الهيثمي رجال ثقات (الزوائد ١٤٧ / ٦).

[2] رواه أحمد وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح (الزوائد ١٤٩ / ٦).

[3] تفسير الميزان ٣٩٤ / ١٨.

ولم يفتح له. وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنى دافع اللواء غداً إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله. لا يرجع حتى يفتح له، قال بريدة: وبتنا طيبة أنفسنا أن الفتح غدا. فلما أن أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم. صلى الغداة ثم قام قائماً. فدعا باللواء والناس على مصافهم. فدعا علياً بن أبى طالب وهو أرمد فتفل فى عينيه ودفع إليه اللواء. وفتح له. قال بريدة: وأنا فيمن تطاول لها [١].

وعن أبى سعيد الخدري إن رسول الله صلى الله عليه وسلم. أخذ الراية فهزها ثم قال: من يأخذها بحقها فجاء فلان فقال: أمط (كلمة زجر) ثم جاء رجل آخر فقال: أمط. ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم: والذي كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لأعطينها رجلاً لا يفر. هاك يا على. فانطلق حتى يفتح الله عليك [٢].

وروى الإمام أحمد: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر (لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله - وزاد فى رواية: ويحبه الله ورسوله - يفتح الله عليه، فقال عمر بن الخطاب: فما أحببت الإمارة قبل يومئذ. فتطاولت لها واستشرفت رجاء أن يدفعها إلى. فلما كان الغد. دعا علياً عليه السلام. فدفعها إليه. فقال: قاتل ولا تلتفت حتى يفتح عليك. فسار على بن أبى طالب قريباً. ولم يلتفت. ثم قال: يا رسول الله علام أقاتل. قال: حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل [٣].

---

[١] رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح قال الهيثمي (الزوائد ١٥٣ / ٦).

[٢] رواه أحمد ورجاله ثقات قال الهيثمي (الزوائد ١٥١ / ٦).

[٣] رواه أحمد. وقال في الفتح الرباني رواه مسلم بلفظ متقارب. والبيهقي (الفتح الرباني ١٢٢ / ٢٣).

وفتح الله خيبر. وبعد هذا الفتح سأل النبى صلى الله عليه وآله وسلم أهل خيبر عن آنية كان اليهود يستعيرونها من بعضهم ويتباركون بها. فعن ابن عباس قال: صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر على كل صفراء وبيضاء وعلى كل شئ إلا أنفسهم وذراريهم. قال: فأتى بالربيع وكنانة ابنى أبى الحقيق. وأحدهما عروس بصفية بنت حيى بن أخطب.
فلما أتى بهما قال: أين آنيتكما التى كانت تستعار بالمدينة. قالا: أحرجتنا وأجليتنا فأنفقناها. قال: أنظرا ما تقولان فإنكما إن كتمتمانى استحللت بذلك دماءكما وذريتكما. قال: فدعا رجلاً من الأنصار. قال: إذهب إلى مكان كذا وكذا. فانظر نخيلة فى رأسها رقعة. فانزع تلك الرقعة واستخرج تلك الآنية فائت بها، فانطلق حتى جاء بها فقدمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب أعناقهما وبعث إلى ذريتهما. فأتى بصفية بنت حيى بن أخطب. فأمر بلال فانطلق بها إلى منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وأكثر الناس فيها. فقائل: سريته. وقائل يقول: امرأته وإن لم يحجبها فهى سريته. فأخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحجبها. وقد كان عرض عليها قبل ذلك أن يتخذها سرية أو يعتقها وينكحها. قالت: لا بل اعتقنى وانكحنى ففعل صلى الله عليه وسلم [1].

وروى ابن إسحاق: إن صفية كانت قد رأت فى المنام. وهى عروس بكنانة بن أبى الحقيق. إن قمراً دفع فى حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال: ما هذا إلا إنك تتمنين ملك الحجاز محمد. ولطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها. فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثراً منه فسألها ما هو؟ فأخبرته [2].

وأخرج ابن سعد عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: لما دخلت

[1] رواه الطبراني (الزوائد ١٥٢ / ٦.) (٢) تفسير الميزان ٢٩٧ / ١٨.

[2] تفسير الميزان ١٨/٢٩٧.

صفية على النبى صلى الله عليه وسلم قال لها: لم يزل أبوك من أشد اليهود لى عداوة حتى قتله الله. فقالت: يا رسول الله يقول فى كتابه ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: اختاري.
فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسى. وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقى بقومك. فقالت: يا رسول الله. لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعونى. حيث صرت إلى رحلك. وما لى فى اليهودية أرب. وما لى فيها والد ولا أخ، وخيرتنى الكفر والإسلام. فالله ورسوله أحب إلى من العتق وأن أرجع إلى قومى. قال: فأمسكها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه [١] وقال المسعودي: وكان زواجه من صفية سنة سبع من الهجرة وروى عن سعيد بن المسيب قال: قدمت صفية بنت حيى فى أذنيها خرصة من ذهب. فأهدت منه لفاطمة الزهراء ولنساء معها [٢].

وروى عن سليمان بن عتيق عن جابر بن عبد الله. إن صفية بنت حيى لما دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فسطاطه حضرنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوموا عن أمكم) فلما كان من العشى حضرنا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفى طرف ردائه نحو من مد ونصف من تمر عجوة فقال: كلوا من وليمة أمكم [٣] وعن أبو الوليد: كانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم. السمن والأقط والتمر [٤].

ترى هل كان الكساء الخيبري الذي أصابه النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو من بقية ما ترك آل موسى وآل هارون؟ لقد أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يضع على هارون وبنيه ملابس لها معالم خاصة كما ذكرت

---

[١] الطبقات الكبرى ١٢٣ / ٧.

[٢] الطبقات ١٢٧ / ٧، الإصابة ٣٤٧ / ٤.

[٣] الطبقات ١٢٤ / ٧.

[٤] الطبقات ١٢٢ / ٧.

التوراة الحاضرة. وإن الله تعالى طهر هارون وبنوه وجعلهم قضاة لبنى إسرائيل يفسرون لهم شريعة التوراة. وفى الرسالة الخاتمة أدخل النبى صلى الله عليه وآله فاطمة وعلى وابناهما تحت الكساء الخيبري ونزل قوله تعالى ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ ترى هل الخاتمة تحمل معالم الدعوة الإلهية عند المقدمة. ومن المعروف أن الدعوة الإلهية التى حملها الأنبياء دعوة واحدة.

لقد ظهر تابوت السكينة وبه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون كآية لطالوت وكحجة على بنى إسرائيل. ترى هل ظهر بعض ما ترك آل موسى وآل هارون كآية لنبوة النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وكحجة على بنى إسرائيل الذين يعلمون المقدمات ويعرفون النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما يعرفون أبناءهم؟ ترى هل استقامت المعجزة عند المقدمة مع المعجزة عند الخاتمة؟

لقد أخبر القرآن الكريم إن تابوت السكينة به (بقية) مما ترك آل موسى وآل هارون بمعنى إن التابوت لم يكن به مجموع ما ترك آل موسى وآل هارون. ولازم ذلك أن تراث آل موسى وآل هارون امتدت إليه الأيدي قبل ظهور طالوت كملك على بنى إسرائيل. فما المانع أن تكون البقية قد امتدت إليها الأيدي. وخاصة أن اليهود كانت لهم آنية يتباركون بها. وكان لحيى بن أخطب تراث يتفاخر به على اليهود على خلفية إنه من نسل هارون. ترى هل كان فى خيبر حجة الله على بنى إسرائيل وعلى الأمة الخاتمة؟ ومن الثابت والمحفوظ. أن منزلة على بن أبى طالب من النبى صلى الله عليه وسلم بمنزلة هارون من موسى. روي أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى (أنت منى بمنزلة هارون من موسى. إلا إنه لا نبى بعدي) [١]وهذا المعنى نقف عليه إذا تدبرنا بعض الأمور. منها: ما ذكره

[١] رواه البخاري (الصحيح ٣٠٠ / ٢) ومسلم (الصحيح ١٧٤ / ١٥).

صاحب لسان العرب. فى تعريفه لمعنى لفظ (الديان) قال: الديان معناه: الحكم القاضى. وسئل بعض السلف عن على بن أبى طالب عليه السلام. فقال: كان ديان هذه الأمة بعد نبيها. أي قاضيها وحاكمها ا. هـ [١].

ومنها: ما روي عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجته يوم عرفة. وهو على ناقته القصواء يخطب. فسمعته يقول: يا أيها الناس إنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا. كتاب الله وعترتى أهل بيتى [٢] ومنها: ما روي عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنى أوشك أن أدعى فأجيب. وإنى تارك فيكم الثقلين. كتاب الله وعترتى. كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى. وإن اللطيف الخبير أخبرنى أنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض. فانظروا كيف تخلفونى فيهما [٣].

وبالجملة: سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الله تعالى خير خيبر. وخير أهلها وخير ما فيها. وأعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللواء لعلى بن أبى طالب ومنزلته من النبى صلى الله عليه وآله وسلم كمنزلة هارون من موسى عدا النبوة. وفتح الله خيبر. وسأل النبى صلى الله عليه وآله وسلم أهل خيبر عن الآنية التى كانوا يحتفظون بها وجاء رجل من الأنصار بالآنية. وجاء بلال بن رباح بصفية بنت حيي. وصب الخير فى وعاء المسلمين. وعندما سمع أهل فدك ما صنع النبى بيهود خيبر بعثوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم أن يسيرهم ويحقن دماءهم ويخلون بينه وبين الأموال. ففعل. فكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب. وتحت الكساء الخيبري كان الخير. كل الخير.

---

[١] لسان العرب مادة دين ص ١٤٦٧.

[٢] رواه الترمذي وحسنه (الجامع ٦٦٢ / ٥) والنسائي (كنز العمال ١٧٢ / ١)

[٣] رواه الترمذي وحسنه (الجامع ٦٦٣ / ٥).

أما ما روي فى حديث الكساء. فلقد ذكرناه فى قصة أم سلمة رضى الله عنها. ونذكره هنا لأن الموقف يقضى بذلك. وروى الإمام ابن عساكر فى تاريخه عن شهر بن حوشب عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم. إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة (أتينى بزوجك وابنيك) فجاءت بهم. فألقى عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كساء كان تحته خيبرياً أصبناه من خيبر - ثم قال (اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم) قالت أم سلمة: فأخذت بطرف الكساء لأدخل معهم - وفى رواية: فرفعت الكساء - فجذبه رسول الله صلى الله عليه وسلم من يدي وقال (إنك على خير).

وروى الإمام أحمد عن عطاء بن رباح أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى بيت أم سلمة. فأتته فاطمة. فقال (أدعى زوجك وابنيك) فجاء على والحسن والحسين. فدخلوا عليه فجلسوا على دثار. وكان تحته كساء له خيبري. قالت أم سلمة: وأنا أصلى فى الحجرة. فأنزل الله عز وجل ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم فضل الكساء فغشاهم به. ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال (اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى .
فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) قالت أم سلمة: فأدخلت رأسى البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال (إنك إلى خير. إنك إلى خير) [1].

وبالجملة: فإن منزلة على من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
وإعطاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الراية له يوم خيبر، ووجود صفية التى ينتهى نسبها إلى هارون عليه السلام. وجود الكساء الخيبري. إلى

[1] رواه أحمد (الفتح الرباني ٣٣٨ / ١٨)، ورواه الحاكم وأقره الذهبي.

غير ذلك من الأمور التى تتعلق بهذا الباب. فجميع ذلك يدعو فى حقيقة الأمر إلى مزيد من التدبر والتبصر.

مناقبها:

أخرج ابن سعد عن ابن أبى عون قال: استبت عائشة وصفية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصفية: ألا قلت أبى هارون وعمى موسى؟ وذلك أن عائشة فخرت عليها [1].

وأخرج الترمذي عن أنس قال: بلغ صفية أن حفصة قالت: إنها بنت يهودي. فبكت. فدخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم وهى تبكى. فقال: ما يبكيك؟ فقالت: قالت لى حفصة إنى بنت يهودي. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: إنك لابنة نبى وإن عمك لنبى وإنك لتحت نبى ففيما تفخر عليك. ثم قال صلى الله عليه وسلم: إتقى الله يا حفصة [2].

وأخرج الترمذي عن صفية أنها قالت: بلغنى عن حفصة وعائشة أنهم قالوا: نحن أكرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفية. نحن أزواجه وبنات عمه. فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذكرت ذلك له. فقال: ألا قلت. فكيف تكونان خيراً منى وزوجى محمد وأبى هارون وعمى موسى [3].

وقال صاحب التاج الجامع للأصول: أي إنك لابنة نبى وهو هارون عليه السلام. وإن عمك لنبى ورسول وهو موسى عليه السلام. وإنك لتحت نبى وهو محمد صلى الله عليه وسلم. فلا فخر لهم مثلك ولا فخر أعظم من ذلك. فنسبها يتصل بإسحاق ويعقوب وإبراهيم صلى الله عليهم

---

[1] الطبقات الكبرى ١٢٧ / ٧.

[2] رواه الترمذي بسند صحيح (التاج الجامع ٣٨٥ / ٣).

[3] رواه الترمذي بسند صحيح (التاج الجامع ٣٨٥ / ٣).

وسلم. ورضى الله عن صفية وأرضاها آمين [1].

وأخرج ابن سعد بسند حسن عن زيد بن أسلم أن نبى الله صلى الله عليه وسلم فى الوجع الذي توفى فيه اجتمع إليه نساؤه. فقالت صفية بنت حيى: أما والله يا نبى الله لوددت إن الذي بك بى. فغمزنها أزواج النبى صلى الله عليه وسلم، وأبصرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: مضمضن فقلن: من أي شئ يا نبى الله؟ قال: من تغامزكن بصاحبتكن. والله إنها لصادقة [2].

وفاتها:

كان لصفية داراً تصدقت بها فى حياتها [3]. وروي أنها ماتت سنة خمسين فى زمن معاوية، وقيل سنة اثنتين وخمسين [4].

---

[1] التاج الجامع ٣٨٤ / ٣.

[2] الطبقات الكبرى ١٢٨ / ٧، الإصابة ٣٤٧ / ٤.

[3] الطبقات الكبرى ١٢٨ / ٧.

[4] الإستيعاب ٣٤٩ / ٤، الإصابة ٣٤٩ / ٤، الطبقات ١٢٩ / ٧.

١١ - السيدة ميمونة بنت الحارث

زواجها:

هى: ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن رويبه بن عبد الله بن هلال، وأمها: هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة بن حمير. وقيل: من كنانة.

وأخوات ميمونة لأبيها وأمها: أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب، ولبابة الصغرى بنت الحارث زوج الوليد بن المغيرة وهى أم خالد بن الوليد، وعصماء بنت الحارث. وكانت تحت أبى بن خلف الجهمى فولدت له إبان وغيره، وعزة بنت الحارث. كانت تحت زياد بن عبد الله بن مالك. فهؤلاء أخوات ميمونة لأب وأم. أما أخوات ميمونة لأمها: أسماء بنت عميس. كانت تحت جعفر بن أبى طالب فولدت له عبد الله. وعوناً. ومحمداً، ثم خلف عليها أبو بكر بن أبى قحافة. فولدت له محمداً، ثم خلف عليها على بن أبى طالب، وسلمى بنت عميس أخت أسماء. كانت تحت حمزة بن عبد المطلب فولدت له آمة الله. ثم خلف عليها بعده شداد بن أسامة بن الهادي.

فولدت له عبد الله وعبد الرحمن، وسلامة بنت عميس أخت أسماء وسلمى. كانت تحت عبد الله بن كعب بن منبه [١].

---

[١] الإستيعاب ٤٠٤ / ٤.

ولقد سقنا أسماء الأخوات لنقف على حقيقة مفادها إن مصاهرة القبائل والبيوت في الجاهلية والإسلام كان لها أثراً بالغاً في المجتمع.

فيها كانت تتحرك القبائل بتجارتها من بلد إلى بلد دون خوف من اللصوص والقراصنة. وبها تصبح القبيلة القليلة العدد كثيرة. وبها كانت تنتعش حركة البيع والشراء وما يترتب عليها. والدعوة الإسلامية انطلقت من طريق المصاهرة إلى مدى بعيد. كانت الدعوة همتها بالله وشغلها فيه وفرارها إليه. وكانت المصاهرة والتعارف على هذا الطريق بمثابة الواحة التى تستقبل القادمين بالزاد الفطري من كل فج.

وأخرج ابن سعد: أن مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي تزوج ميمونة في الجاهلية. ثم فارقها. فخلف عليها أبو رهم بن عبد العزى بن أبي قيس من بني مالك. فتوفى عنها. فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

زوجه إياها العباس بن عبد المطلب. وكان ولي أمرها. وهي أخت أم ولده أم الفضل بنت الحارث الهلالية لأبيها وأمها. وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرف على عشرة أميال من مكة. وكانت آخر امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذلك سنة سبع في عمرة القضية [1].

ورعها:

أخرج ابن سعد عن مجاهد قال: كان اسم ميمونة برة. فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ميمونة [2].

---

[1] لطبقات ١٣٢ / ٧.

[2] الطبقات الكبرى ١٣٧ / ٧، الإستيعاب ٤٠٥ / ٤.

وروي عن يزيد بن الأصم قال: كان مسواك ميمونة بنت الحارث.
منقعاً فى ماء فإن شغلها عمل أو صلاة وإلا أخذته فاستاكت به [1] وروي عنه أنه قال: أن ذا قرابة لميمونة دخل عليها. فوجدت منه ريح شراب فقالت: لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدوك - أو قالت يطهروك - لا تدخل على بيتى أبداً [2].

وروي عن الفضل بن دكين قال. حدثنا عقبة بن وهب عن يزيد بن الأصم قال: رأيت أم المؤمنين ميمونة تحلق رأسها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فسألت عقبة: لم؟ فقال: أراه تبتل [3].

وروي عن أبى عائشة: أن ميمونة أبصرت حبة رمان فى الأرض.
فأخذتها وقالت: إن الله لا يحب الفساد [4] وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الأخوات مؤمنات ميمونة وأم الفضل وأسماء) [5].

وفاتها:

روي أن ميمونة رضى الله عنها ماتت سنة إحدى وستين. وقيل: سنة ست وستين. وقال أبو عمر: توفيت بسرف سنة ست وستين وصلى عليها ابن عباس ودخل قبرها هو ويزيد بن الأصم وعبد الله بن شداد وهم بنو أخواتها. وعبيد الله الخولاني وكان يتيما في حجرها [6] وأخرج ابن سعد:

---

[1] الطبقات الكبرى ١٣٩ / ٧.

[2] المصدر السابق ١٣٩ / ٧.

[3] المصدر السابق ١٣٩ / ٧.

[4] المصدر السابق ١٣٩ / ٧.

[5] الإصابة ٤١٢ / ٧.

[6] الإستيعاب ٤٠٨ / ٧، الطبقات ١٤٠ / ٧.

توفيت ميمونة رضى الله عنها بمكة. فحملها ابن عباس وجعل يقول للذين يحملونها: أرفقوا بها فإنها أمكم. حتى دفنها بسرف [١] وكان لها يوم توفيت ثمانون أو إحدى وثمانون سنة [٢].

---

[١] الطبقات ١٤٠ / ٧.

[٢] المصدر السابق ١٤٠ / ٧.

١٢ - السيدة مارية القبطية

تأملات فى الطريق من مصر إلى المدينة:

هى: مارية بنت شمعون.

كان أهل الكتاب ينتظرون نبياً يبعث من جزيرة العرب. وكان بعض من الرهبان يقيمون داخل مكة وحولها وعلى الجبال التى تربط بينها وبين الشام. وكانوا يتحسسون أخبار هذا النبى من التجار الذين يخرجون من مكة أو الذين يقصدونها. ولم تقف دائرة الانتظار وتتبع الأخبار عند هذا الحيز الذي يحيط بمكة. وإنما اتسع ليصل إلى بلاد اليمن وبلاد الحبشة ومصر. وكان بمصر فى هذه الآونة مكتبة عامرة بالإسكندرية، وكانت الإسكندرية لا تخلو من الباحثين عن الحقيقة، نظراً لأن عقيدة ألوهية المسيح عقيدة غير مفهومة لم يقرها المسيح ولا يعلم عنها شيئاً، وإنما هى من اختراع الذين جاؤوا من بعده ولم يروه ولم يسمعوا منه، ولما كانت عقيدة التثليث عقيدة مستعصية عن الفهم ولا يفهمها حتى القائمين عليها.

فإن دائرة الخاصة بالإسكندرية بحثت عن الحقيقة كما بحث عنها دائرة الخاصة فى الحبشة وعلى رأسهم النجاشى، وكما بحث عنها دائرة الخاصة فى خيبر وعلى رأسهم صفية بنت حيى.

وكما اهتم النجاشى ملك الحبشة بالدعوة الخاتمة. اهتم مقوقس الإسكندرية أيضاً بهذه الدعوة. ومن الثابت أن مصر كانت ترتبط بالحبشة يومئذ بروابط اقتصادية وسياسية وكانت الكنيسة الحبشية ترتبط بالكنيسة القبطية المصرية الأرثوذكسية.

وروي أن مقوقس مصر بعث بهدية إلى النبى صلى الله عليه وسلم.
ومن صفاته عندهم إنه يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة، والمتدبر فى هدية صاحب الإسكندرية. يجد أنه بعث للنبى صلى الله عليه وآله بثلاثة من بيت واحد وأسرة واحدة، قال صاحب الإصابة عن أبى صعصعة قال: بعث المقوقس صاحب الإسكندرية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة لينا، وبغلته الدلال وحماره عفير. ومع ذلك خصى يقال له: مأبور شيخ كبير كان أخا مارية [1] ويمكن الوقوف على أصول هذه الأسرة. إذا علمنا أن مارية القبطية لم تكن جارية عادية شأنها كشأن غيرها من الجواري.
بمعنى إنها لم تكن من العامة وإنما كانت من الخاصة. فعن عروة عن عائشة قالت: أهدى ملك بطارقة الروم يقال له المقوقس جارية من بنات الملوك يقال لها مارية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [2].

ولا يخفى أن مكتبات القصور لا تخلو من الكتب العتيقة والنادرة التى تختصر الطريق للوصول إلى الحق ولقد قال بعض علماء الآثار: إن عقيدة التوحيد التى اعتنقها (أخناتون) وصلت إليه من بقايا تراث الأسرة الفرعونية الثانية عشرة. وهذا التراث كان ينتقل من قصر إلى قصر. وأجمع علماء الآثار على أن نزول إبراهيم عليه السلام إلى مصر كان فى عهد الأسرة الثانية عشرة. ولقد أهدى فرعون مصر إلى إبراهيم عليه السلام

---

[1] الإصابة ٤٠٤ / ٤، الطبقات الكبرى ٢١٢ / ٧.

[2] البداية والنهاية ٣٠٤ / ٥.

هاجر أم إسماعيل. وذكر ابن كثير فى البداية والنهاية إن هاجر كانت جارية من بنات الملوك.

وبالجملة: كانت هاجر عند المقدمة الأولى من بنات الملوك.

وسارت فى القافلة الإبراهيمية. ثم كانت مارية عند الدعوة الخاتمة من الملوك. وسارت نحو المدينة لتكون ضمن أمهات المؤمنين، وكأن التاريخ يحدثنا أن سنة إبراهيم سنة جارية استقرت فى نهاية المطاف عند النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، أو كأنه يقول إن حركة المقدمة يستقيم مع حركة الخاتمة.

إن هدية المقوقس تفيد أن الحجة قد قامت على الخاصة من قبل أن يبعثوا بالهدية. وعندما بعثوا بهذه الهدية فإن هذا يعنى أن الحجة دامغة على دائرة أوسع من دائرة الخاصة. وتحت هذا السقف يمكن أن نفهم بكل يسر ما روي عن كعب بن مالك. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً. قال: ورحمهم أن أم إسماعيل بن إبراهيم منهم. وأم إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم منهم) [1].

وروى ابن كثير وغيره: أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يركب فى المدينة البغلة التى أهداها إليه المقوقس. وأنه ركبها يوم حنين. وقد تأخرت هذه البغلة وطالت مدتها. وكانت عند على بن أبى طالب. كان يركبها يوم الجمل. ثم صارت إلى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب.
وكبرت حتى كان يحش لها الشعير لتأكله [2].

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يطأ مارية بملك

[1] الطبقات الكبرى ٢١٤ / ٧.

[2] البداية والنهاية ٣٠٣ / ٥.

اليمين. ووهب أختها لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن [١]، وروي عن عبد الرحمن بن زياد قال: أتى جبريل عليه السلام. فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن الله قد وهب لك غلاماً من مارية. وأمرك أن تسميه إبراهيم) [٢].

وروي عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم [٣].

وروى أبو عمر: إن إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ثمانية عشر شهراً [٤] وقيل: وهو ابن ستة عشر شهراً [٥] وذكر ابن كثير في البداية والنهاية: لما توفي إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله. بعث علي بن أبي طالب إلى أمه مارية. فحمله علي بن أبي طالب وجعله بين يديه على الفرس. ثم جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. فغسله وكفنه وخرج به وخرج الناس معه. فدفنه في الزقاق الذي يلي دار محمد بن زيد. فدخل علي بن أبي طالب في قبره. حتى سوى عليه ودفنه. ثم خرج ورش على قبره وأدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده في قبره وبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبكى المسلمون حوله حتى ارتفع الصوت. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تدمع العين ويحزن القلب. ولا نقول ما يغضب الرب. وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون [٦].

---

[١] الطبقات الكبرى ٢١٥ / ٧.

[٢] البداية والنهاية ٣٠٩ / ٥.

[٣] الإستيعاب ٤٢ / ٤.

[٤] المصدر السابق ٤٣ / ٤.

[٥] البداية والنهاية ٣٠٩ / ٥.

[٦] المصدر السابق ٣٠٩ / ٥.

وفاتها:

روي أن مارية رضى الله عنها توفيت سنة ست عشر فى خلافة عمر بن الخطاب. وروي أنها ماتت بعد النبى صلى الله عليه وسلم بخمس سنين ودفنت بالبقيع [1].

---

[1] الإصابة ٤٠٥ / ٤.

١٣ - السيدة ريحانة بنت زيد

زواجها:

هى: ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة بن سمعون بن زيد من بنى النضير. قال ابن سعد: وكانت متزوجة رجلاً من بنى قريظة يقال له الحكم. فنسبها بعض الرواة إلى قريظة لذلك [١].

روي عن محمد بن كعب قال: كانت ريحانة مما أفاء الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما قتل زوجها وقعت فى السبى.

فكانت صفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بنى قريظة. فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الإسلام وبين دينها فاختارت الإسلام. فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها وضرب عليها الحجاب [٢].

وروي عن عمر بن الحكم عن ريحانة قالت: لما سبيت بنو قريظة.

قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله لنفسه. فقلت: إنى أختار الله ورسوله. فلما أسلمت أعتقنى

---

[١] الطبقات الكبرى ١٢٩ / ٨، الإصابة ٨٨ / ٨.

[٢] الطبقات ١٣٠ / ٨، الإصابة ٨٨ / ٨.

رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأصدقنى كما كان يصدق نساءه. وأعرس بى فى بيت أم المنذر. وكان يقسم لى كما كان يقسم لنسائه. وضرب على الحجاب [١].

قال ابن سعد: هذا ما روي لنا فى عتقها وتزويجها. وهو أثبت الأقاويل عندنا. وهو الأمر عند أهل العلم. وقد سمعت من يروي أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعتقها. وكان يطأها بملك اليمين، ومن ذلك ما روي عن أيوب بن بشير. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: أن أحببت أن أعتقك وأتزوجك فعلت، وإن أحببت أن تكونى فى ملكى. فقالت: يا رسول الله أكون فى ملكك أخفت على وعليك. فكانت فى ملك رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢].

وفاتها:

روى ابن سعد عن عمر بن الحكم قال: لم تزل ريحانة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع. فدفنها بالبقيع. وكان تزويجه إياها فى المحرم سنة ست من الهجرة [٣] وقال صاحب الإصابة: ماتت قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بستة عشر.
وقيل لما رجع من حجة الوداع [٤].

الخاتمة:

وفى الختام نقول بما قاله أبو عمر فى الإستيعاب: اللواتى لم

---

[١] الطبقات ١٣٠ / ٨، الإصابة ٨٨ / ٨.

[٢] الطبقات ١٣١ / ٨

[٣] الطبقات ١٣٠ / ٨

[٤] الإصابة ٨٨ / ٨.

يختلف أهل العلم فيهن هن إحدى عشر امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ست من قريش. وواحدة من بنى إسرائيل من ولد هارون عليه السلام، وأربع من سائر العرب. وتوفى فى حياته صلى الله عليه وآله وسلم من أزواجه اثنتان: خديجة بنت خويلد. وزينب بنت خزيمة، وتخلف منهن تسع بعده، أما اللواتى اختلف فيهن ممن ابتنى بها. أو فارقها. أو عقد عليها ولم يدخل بها. أو خطبها ولم يتم له العقد معها.
فقد اختلف فيهن وفى أسباب فراقهن اختلافاً كثيراً. يوجب التوقف عن القطع بالصحة فى واحدة منهن [1] ولم يختلف أهل العلم فى أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان له سريتان يقسم لهما مع أزواجه: مارية القبطية. وريحانة الخندقية.

وما ذكره أبو عمر وما اتفق عليه العلماء، أقر به، فلقد ظهر لى ذلك ظهوراً جلياً عندما كنت أجمع مادة هذا الكتاب من أكثر من مصدر. ووفقاً لهذه الخلفية فإن أي قول غير هذا فهو إما قول مختلف فيه. وإما قول لا يستند إلى أساس. ومن كان شأنه كذلك فلا يلتفت إليه.

﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ [2] ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ [3] وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

---

[1] الإستيعاب ٣٤ / ١.

[2] سورة النمل آية ٥٩.

[3] سورة الصافات آية ١٨٢.

المصادر والمراجع

تفسير الميزان: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائى، ط - مؤسسة الأعلمى، بيروت.

تفسير القرآن: ابن كثير، ط - دار التراث، حلب ١٩٥٠.

الإصابة فى تميز الصحابة: ابن حجر العسقلانى، ط - دار العلوم الحديثة، ط - دار الكتب العلمية.

الإستيعاب: ابن عبد البر، هامش الإصابة ط - دار العلوم الحديثة ١٣٢٨.

البداية والنهاية: ابن كثير، ط - دار المعارف ١٩٨١.

تاريخ دمشق: ابن عساكر ط - المجمع العلمى العربى دمشق.

تاريخ الأمم والملوك: الطبري ط - دار الفكر بيروت.

صحيح البخارى: البخاري، ط - الحلبى القاهرة، ط - دار الكتاب الإسلامى.

صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج، ط - إحياء التراث بيروت، ط - التحرير القاهرة.

الجامع الصحيح: الترمذي ط - الحلبى القاهرة ١٩٧٠.

الطبقات الكبرى: ابن سعد، ط - دار صادر بيروت.

الفتح الرباني ترتيب مسند أحمد: أحمد البنا، ط - دار التراث العربى بيروت.

كنز العمال: على المتقى، ط - دار الرسالة بيروت ١٩٧٩.

المستدرك: الحاكم، ط - دار الفكر، بيروت.

مجمع الزوائد: الهيثمى ط - القدسى، القاهرة.

مروج الذهب: المسعودي، ط - دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨١.

الكتاب المقدس: ط - دار الكتاب المقدس ١٩٨٣، القاهرة.

تحفة الأحوازى شرح سنن الترمذى: المباركفوري ط - المكتبة السلفية، المدينة.

التاج الجامع للأصول: منصور ناصف، ط - دار الفكر، بيروت.

العقد الفريد: ابن عبد البر ط - لجنة التأليف والنشر القاهرة ١٩٥٠.

إبتلاءات الأمم: سعيد أيوب، ط - دار الهادي، بيروت.

معالم الفتن: سعيد أيوب، ط - دار الكرام، بيروت.

الفهرس